16 ème Année No. 764

Lundi — 23 — 2 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٧٦٤ » القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ — ٢٣ فبراير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من مذكراتى اليومية :

قصة فتــــاة ...

يوم الاثنين ٧ مايو ١٩٤٥ :

عرفت من بين الرسائل الكثيرة التى ألقيت إلىَّ صباح اليوم رسالة الآنسة (س) من غلافها الوردى الأنيق، وخطها الأنثوى المنمنم، فوضعتها ناحية ريثما أفرغ من بريد الرسالة، ثم عدت إليها فشققت كامها عن أربعة أسطر تقول فيها: إنها حضرت القاهرة منذ يومين، وإنها ترجو أن ترانى فى الساعة الخامسة من مساء الخميس المقبل بمحلّ (جروبى) الجديد، وإنها ستضع مجلة (الرسالة) على المائدة التى ستجلس إليها، لتكون دليلا عليها؛ فإننا تعارفنا منذ عام بالكتابة نفساً لنفس، ولكننا لم نتعارف إلى اليوم باللقاء وجهاً لوجه

كيف أفلتت هذه الفتاة الغريرة من ربقة التقاليد الصعيدية المحكمة فتركت عزبتها إلى المدينة، وبيتها إلى الفندق، وحديقتها إلى جروبى ؟ هل أقدمت على ما كانت تسوله لها نفسها الطموح من الانعتاق والانطلاق، فخرجت مما كانت تسميه (قبراً) لتدخل فيما كانت تسميه (دنيا) ؟ سؤالان ألقيتهما على نفسى ورسالتها عالقة بيدى، وحياتها ماثلة فى ذهنى، فلم تدر نفسى ماذا تجيب. قد أستطيع - بما نمت عليه رسائلها من أخبارها وأسرارها أن أخمن بعض الأسباب التى أقدمتها إلى القاهرة، ولكن بين التخمين واليقين ثلاثة أيام، فلأنتظر حتى ألقاها

ألقى إلىَّ البريد أولى رسائلها من الصعيد الأوسط فى أوائل إبريل من سنة ١٩٤٤ حين سرى الروح الإلهى فى همود الطبيعة فأيقظ الراقد وأنعش الخامد وأعلن المستكن. كانت فى تلك الرسالة متهيبة متحفظة، كالغريب الطارىء يقرع الباب بلطف، ويدخل البيت فى استحياء، حتى إذا وجد من أهل الدار بشاشة القبول وكرم المثوى، علّق العصا وخلع المعطف. وما كان لكاتب نصب نفسه للتوجيه والإرشاد أن يذود عن بابه المفتوح فتاة تلتمس نفَساً من كربها وسنداً لضعفها وسبيلا لهداها

لم تقل فى رسالتها القصيرة أكثر من أنها آنسة فى الخامسة عشرة فقدت فى السن الباكرة أبويها فكفلها أخوها. وأخوها على طباع أهل الصعيد شديد الحِفاظ صارم النخوة لم يسمح لها بالمضى إلى غاية التعليم الثانوى فضمها إليه فى العزبة. والعزبة حديقة تتوسطها دار يسكنها الأخ وزوجه وابناه الصغيران، ثم الدوار وبيوت الفلاحين يفصلها عن حمى المالك طريق واسع وسور مرتفع، ثم حقول مترامية الأطراف يغشاها السكون وتلفها الوحشة. وزوجة أخيها امرأة ضيقة الفكر واسعة العمل حيية الطبع لا تحب الاجتماع ولا تحسن الحديث. فهى لا تملك فى هذه البيئة وهذه الطبيعة إلا أن تزجّى فراغها الثقيل بقراءة قصة أو كتابة رسالة أو رسم صورة أو نسج قطعة. ولكن وجهة آمالها وحديث أحلامها أن تكون يوماً ما أديبة. وقد قرأت لى (آلام فرتر) و (رفائيل) فراقها الأسلوب وسحرها الروح. وهى تطمح أن تبلغ من الفن الكتابى مبلغاً يهيئها أن تمهد

الحرية ! الحرية !

للأستاذ محمود محمد شاكر

أصبحت الجامعة العربية حديث العرب والمسلمين في مشارق ‍رض ومغاربها ، قد ناطوا بها كل آمالهم في بلوغ غاياتهم ‍دراك ما تتمناه قلوبهم وضمائرهم ، وحسب الجامعة أن تكون ‍ة أربعمئة مليون عربي ومسلم في دنيا كلها عدوٌّ لنا يبغينا ‍وائل . ولكن لا حسب ، فليس من الحق أن نترك الجامعة ‍سير وحدها في الطريق دون أن ترتفع أصوات طلاب الحق ‍يدها وتسددها وتشير عليها بالرأى بعد الرأى ، فإن رجال ‍امعة رجال من أنفسنا ، قد رضيت العرب أن تعهد إليهم بقيادة ‍ه الشعوب المطالبة بالتحرر من قيود الاستعمار التي ضربت ‍ينا ونحن في غفلة عن الدنيا الضارية التي أرسلت علينا وحوشها ‍تم في حمانا ، وتستأثر بخير بلادنا ، وتنال منا نيلا شديداً .

وقد آن أوان تغيير ما كان وما سار عليه العمل في السنوات الماضية . فالجامعة ترى كما يرى كل عربي ومسلم منذ وضعت الحرب العالمية الماضية أوزارها ، أن أوربة الجائعة التي لا تشبع ، قد خرجت من تحت أنقاض الحرب المدمرة وهي أشد ضراوة ووحشية مما كانت قبل الحرب وفي زمان الحرب . وأنها تريد أن تلتهم كل شيء فتشبع ونجوع نحن ، وتعبث وتئن نحن ، وتستغرق في الترف وناعم العيش وإن أغرقتنا نحن في الضنك وبؤس الحياة . فهذه روسيا تريد أن توغل حيث أطاقت وحيث تيسر لها أن تتوغل . وهذه بريطانيا الكاهنة العتيقة العاتية تريد أن تتلو زمازم كهانتها على شعوبنا لتنيمنا مرة أخرى على الخسف الذي نمنا عليها أجيالا طوالا . ثم هذه ثالثة الثلاثة أمريكا التي لا ينطفىء أوار ظمئها إلى البترول ، تريد أن تستنفد كل شيء ما استطاعت ، لتتمهى به وبكل ما يطيق العلم أن يحدثه من ترف أو قوة ، فتدخل مع بريطانيا في الحلف الاستعماري ، لا تبالي أن تناقض تاريخ الأحرار القدماء من رجالها وبناة مجدها .

وترى الجامعة كما يرى كل عربي ومسلم ، أن الشرق العربي والشرق الإسلامي لم يقر له قرار منذ سكنت نار الحرب ، فقد انبعثت أندونيسيا تريد الحرية فلم يبال بها أحد ، وانبعثت الهند تريد الحرية فأماموها بأن أدخلوها في نظام الدومنيون ، وهبت مصر والسودان تجادل عن حقها في مجلس الأمن فأصمت الأمم الداعية إلى الحرية آذانها ، وعلقوا القضية في هيكل الوثنية الحديثة التي تعبد إله الشهوات ، وثار العراق يريد أن يحطم قيود الذل فأرادت بريطانيا أن تخدعه عن نفسه فأبى إباء الأحرار ، وماج المغرب العربي في تونس والجزائر ومراكش ، فضربت عليه فرنسا حكم الجبروت وألقت بينه وبين العالم أسداداً من فولاذ الظلم والطغيان ، وسكت العالم الجديد عن هذا البغي الأثيم الذي ليس له رادع من نفسه ولا من الناس . وفارت مدغشقر فأطفأ المستعمرون تلك الأرواح المستعرة بأسنة الحراب . وأخيراً كشفت روسيا وبريطانيا وأمريكا وسائر الدول الصليبية قناع النفاق والرياء ، فقضت أن تطلق على فلسطين أنذال البشرية من يهود ، ليطردوا العرب من أرض آبائهم وأجدادهم منذ كان للعرب على هذه الأرض تاريخ ، فأجمعت الأمم الإسلامية على أن ترد هذا العدوان وإن اجتمعت الدنيا كلها على تحقيقه ومناصرته .

‍ن نفسها هذا التعبير ، وأن تكشف عن روحها هذا الكشف ؛ ‍طلب مني في ابتهال وضراعة أن أجيب عما ترسل إليَّ من ‍سائل ، فأوجهها إلى ما تقرأ ، وأحاسبها على ما تكتب ، وأناقشها ‍ا تفكر ، وأملأ يومها الفارغ الطويل بتحرير الكتب إليَّ ، ‍نتظار الأجوبة مني ؛ وذلك فيما تزعم جزء من رسالة الأديب ‍ى اصطفاه الله ليجمّل بفنه قبح الحياة ، ويخفف بعلمه شقاء ‍اس .

إن الرد على ما يأتيك من الرسائل واجب ، وهو بالطبع على ‍سائل السيدات أوجب ؛ ولكن هناك — ولا أكذبك — ‍فما أقوى من الواجب ، هو تلك اللذة الطبيعية التي يجدها ‍جل في الحديث إلى المرأة أو عن المرأة . لذلك لم أكد أقضي ‍اجة النفس من جمال تلك الرسالة ، بجلالة الفكر في الأسلوب ، ‍إطالة النظر إلى الخط ، حتى كتبت الجواب عنها إلى الفتاة ‍سلوب أب يحاول أن يكون لابنته كما تريد ، ويجتهد في أن ‍تح أمامها باب الأمل من جديد .

للقصة بقايا

أحمد حسن الزيات

ترى الجامعة العربية كل هذا كما يراه كل مسلم وعربي ، ولكنها لا تزال تسير في أمر هذه الثورة الجامحة – التي يريد بها العرب والمسلمون أن يطهروا أنفسهم من الاستعباد ، وأن يطهروا أرض الله من البغي والعدوان – سيرة لم يسرها قبل مطالب بحق يعلم أنه حق لا نزاع فيه . فهي تشغل نفسها مثلا بقضية فلسطين وحدها – على خطر شأنها – وتنسى ما يجرى في مراكش وتونس والجزائر ، وما يحدث في العراق ، وما هو كائن في مصر والسودان ، وما لا يزال يحدث في أندونيسيا وسائر البلدان والأمم المطالبة بالحرية . ولعلها تقول إنها تنظر في الأهم ثم المهم ، وإنها لا تريد أن تخرج عن الأصل الذي وضعت له والذي يدل عليه اسمها وهو «جامعة الدول العربية» ، لا جامعة العرب ، ولا جامعة الإسلام ، ولا جامعة الشرق . وهذا حق ، ولكن ما الذي يحبسها على هذا وحده؟ وما معنى أن تقصر أمرها على الدول العربية «المستقلة» في ظاهر الأمر؟ إن هذه الدول العربية «المستقلة» ليست مستقلة في حقيقة الأمر ، وإلا ففيم ثورة مصر والسودان؟ وفيم ثورة العراق؟ وفيم غليان شرق الأردن؟ فليس من الرأي أن تظل الجامعة العربية مقيدة بأشياء هي حبر على ورق؛ بل ينبغي أن تضم إليها رجالا من تونس والجزائر ومراكش ، وينبغي أن تضم إليها رجالا من سائر الدول الإسلامية والشرقية ممن لهم مع العرب صلات لا يمكن أن تقطعها هذه القواطع المزيفة ، وينبغي أن تعلن الجامعة العربية أنها قد أخذت على عاتقها أن تدافع عن حرية العرب وحرية المسلمين ، وينبغي أن تكون هي المؤتمر العام الذي ينضم إليه كل ناشد للحرية في هذه الأرض مهما اختلفت الأجناس والأديان .

بل ينبغي أن تجمع الجامعة العربية في يدها أمر السياسة العربية والإسلامية جملة واحدة ، وأن تضع المبادىء التي يجب على كل أمة تنضم إليها أن تعمل بها ، وأن تكون هي المعبرة عن النداء العام الذي تنادى به هذه الأمم والشعوب وهو : الحرية ! وينبغي أن تسير في ذلك كله مرة واحدة ، فلا تفرق قضية الحرية إلى قضايا كل واحدة منها تعالج على أسلوب يخالف أخاه أو يتخاف عنه

إن روسيا وأمريكا وبريطانيا وفرنسا وسائر الدول المستعمرة ، أو أذيال الدول المستعمرة ، قد اتفقوا جميعاً على العرب والمسلمين وأهل الشرق ، ففيم نتأخر نحن أو نحجم أو نتلجلج ؟ ولم لا نعمل جميعاً جملة واحدة ، ويداً واحدة ، وفي وقت واحد ، وأي عائق يعوق المطالبين بالحرية والناشدين لها من اجتماع الكلمة على هذا الحق الذي لا يملك أحد أن يمنحه أحداً ، لأنه عطية الله ونعمته ، ليس لأحد أن يسلبه ؟ وكيف يسلبه وهو قوام هذا البنيان الإلهي؟ فإذا خلا هذا البنيان من الحرية ، فقد خلا من الحياة وانهدم ، وكان أنقاضاً تسمى على أرض تلفظها ، وتستظل بسماء تلعنها .

إن جامعة الدول العربية ، إنما تتكلم اليوم باسم الشعوب العربية لا باسم الحكومات وحدها . فلتعلم الجامعة أن الشعوب قد سئمت هذه السياسة العتيقة البالية ، سياسة المداورة والمحاورة ، سياسة الظنون الخداعة ، سياسة المغررين الذين يحسبون أن سينالون حقوقهم بالمساومات والمحادثات والمخابرات والمخادعات . فلتحذر إذن أن تقف دون الغاية التي تسمى إليها شعوبها ، ولتخط الخطوة الواسعة التي خطتها الشعوب في سبيل درك الحرية وانتزاعها من يد الجبابرة الظالمين . إنها اليوم أعظم قوة في هذا الشرق العربي والإسلامي ، فلزام عليها أن تنطق بإرادة هذه الشعوب مجتمعة ، لا بإرادة حكومات تغرر بها السياسة ، ولا بإرادة أفراد مهما بلغ سلطانهم فهو دون سلطان الشعوب التي يمثلونها ، بل ينبغي أن تكون الجامعة هي الرقيب الذي لا ينام على إرادة هذه الحكومات وعلى إرادة هؤلاء الأفراد ، طبقاً لإرادة الشعوب وحدها .

إني لا أزال أنذر الناس أننا نعيش اليوم في زمن غير الزمن الذي ألفوه منذ خمس سنوات وحسب ، فاليقظة التي تدب اليوم في كيان الشعوب العربية والإسلامية أضخم وأعظم وأقوى مما يخطر ببال أحد ، إنها القوة التي لا يقف دونها سلطان ولا طغيان ولا بأس . نعم ، إن النظر العابر الخاطف لا يكاد يدل على هذه الحقيقة ، ولكن النظرة المتأنية المتعمقة تستطيع أن تحس بهذه الحركة الجياشة التي فار فائرها تحت هذا الظاهر الساكن المطمئن . وإنما يغفل من يغفل عن إدراك هذه القوة ، لأنه ألف شيئاً مضى ، فقاس عليه شيئاً جديداً يراه وهو متأثر بهذا الماضي ، ولأنه مسوق في عنان هذه السرعة الخاطفة التي يجرى بها عالمنا الحاضر إلى الغايات التي لا يعلم غيبها إلا عالم غيب السموات والأرض . ولكن الجامعة العربية قد فرض عليها أن تنظر النظرة المتأنية العميقة لتدرك هذه الحقيقة التي لا تخفى ، ثم تقيم سياستها على هذا الأصل وحده دون الأصول الأخرى التي ورثتها

القتل في الشرائع

لحضرة صاحب العزة الأستاذ على بك حلمي
مدير البحيرة

قتل النفس بغير حق جريمة من أقسى الجرائم وأشدها إخلالا بالأمن العام. فهى تقضى على حياة الإنسان فتسلبه صفة الوجود دون رحمة ولاشفقة. وكثيراً ما تعتمد على الغدر والخيانة، فلا يجد المجنى عليه فرصة للدفاع عن نفسه والذود على وجوده.

وقد نشأت هذه الجريمة منذ وجدت الجماعة وحدث بين أفرادها تعارض الرغبات والشهوات. وورد ذكرها فى جميع الشرائع والديانات القديمة، ونص فيها على عقوبة مقترفيها بجزاء يختلف شدة وضعفاً باختلاف درجة الجماعة من رقى واضمحلال.

القتل قبل الشرائع :

لم يكن لجريمة القتل جزاء محدود ولا تشريع مرسوم. ولقد حدثنا القرآن الكريم بقوله تعالى فى سورة المائدة : (من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل، أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) عن أول جريمة وقعت من الإنسان على أخيه، وعن أول تشريع جنائى لهذه الجريمة. وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ؛ لأنه أول من سن القتل »

القتل فى التوراة :

فرقت التوراة بين الأحوال المختلفة لجريمة القتل وبين العمد منها وغير العمد، ورسمت لكل نوع عقوبة خاصة تتناسب مع درجتها فى الإجرام. ومن نصوصها : « من ضرب إنساناً فمات فليقتل قتلاً ؛ فإن لم يتعمد قتله بل أوقعه الله فى يده فسأجعل له موضعاً يهرب منه. وإذا بغى رجل على آخر فقتله اغتيالا ؛ فمن قدام مذبحى يأخذه ليقتل. ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا. وإذا تخاصم رجلان فضرب أحدهما الآخر بحجر أو تكلم ولم يقتل بل سقط فى الفراش ؛ فإن قام وتمشى خارجاً على عكازه يكون الضارب بريئاً إلا أن يعوضه عطلته، وينفق على شفائه. وإن حصلت أذية تعطى نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ويداً بيد ورجلا برجل وكيا بكى وجرحاً بجرح ورضاً برض ».

ومن هذه النصوص يظهر للباحث أن شريعة اليهود تنص على القصاص فى كل الحالات دون ذكر العفو عن أية حالة منها.

القتل فى الانجيل :

جاء فى إنجيل متى : « سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر ؛ بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له خدك الأيسر، ومن رأى أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً، ومن سخرك ميلا واحداً فاذهب معه اثنين »

وبمقارنة هذه النصوص مع نصوص التوراة نجد أن الأولى تقرر العفو دون القصاص مما حدا ببعض الناس إلى القول بأن الإنجيل لا يجعل القتل من شرائعه — وقال آخرون إن الذى لم يذكره الإنجيل إنما هو القود ؛ إذ أن الدية كانت واجبة فى جريمة القتل العمد، وأنكر ذلك الشيخ الإمام محمد عبده فى رواية عن السيد رشيد رضا. ويتفرع عن هذا البحث آراء كثيرة لا يتسع الموضوع لذكرها الآن ؛ غير أننا نلاحظ فارقاً بيناً فى تقرير عقوبة القتل فى كلا التشريعين السابقين — فبينما نرى التوراة تميل فى تشريعها إلى جانب المجنى عليه فتفرض القصاص وتتجاهل العفو نجد الإنجيل يفرض العفو على ولى الدم ويمنع مقابلة الجرم بمثله ؛ ولذلك يقال : إن فى التشريع الأول تفريطاً فى شأن الجانى وفى التشريع الثانى إفراطا فى النظر إليه.

القتل عند البدو :

كان العرب قبل الإسلام أمة فطرية تعيش على البداوة بنظامها وعاداتها الخاصة — وقد شاع فى بيئتها القتل وجرت عاداتها على قتل القاتل — ولكن بالنسبة لما جبلت عليه العرب من الحمية الجاهلية والعصبية وكلفهم بالأخذ بالثأر أسرفوا فى القصاص وتمادوا فيه فأصبحت الجماعة تقتل بالواحد دون نظر إلى قواعد العدل والإنصاف، ولم يرفع هذا الظلم إلا بنزول القرآن وظهور الإسلام.

القتل عند الرومان :

يتساوى الرومان والعرب فى أن جريمة القتل عرفت عندهم من قديم الزمان واعتبروها عقوبة لنفس الجريمة — غير أنهما يختلفان فى ناحيتين جوهريتين.

فالأولون يتوسعون فى تطبيق عقوبة القتل ولا يسرفون فى

التاريخ يعيد نفســـــه

بين المسلمين واليهود

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

لقد ظهر الإسلام والدولة الرومية تحكم فلسطين وغيرها من بلاد الشام ، وكانت قد قضت على دولة اليهود فيها من قبل الميلاد المسيحى ، وفرقتهم منها فى سائر البلاد ، وكانت دولة الروم تحكم فلسطين وغيرها من البلاد الشرقية حكماً استعمارياً ، يستبد فيه الأوربيون بالشرقيين كما يستبدون بهم فى عصرنا ، ويقوم على أساس الطمع فى بلادهم كما يقوم الآن بيننا ، فلما ظهر المسلمون مال أهل هذه البلاد إلى حكمهم ، لأنه لم يكن حكم طغيان واستبداد كحكم الدولة الرومية ، فدخلت فى حكم المسلمين بحق الفتح ، ودخل كثير من أهلها فى الإسلام عن طواعية واختيار وبقى بعض أهلها على دينهم ، فعاشوا بين إخوانهم من المسلمين تجمعهم كلمة الوطن ، ولا يؤثر فيهم ما بينهم من اختلاف فى الدين حتى مضى عليهم فيه أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، وإنه ليكفى أقل منها لتثبيت حقهم فيه ، ولإبطال حق الروم الذين كانوا يحكمون قبلهم ، فما ظنك باليهود الذين لم يكن لهم أثر فيه على عهد فتح المسلمين له ، وهذا هو حكم التاريخ والسياسة فى أمر فلسطين ، وهو حكم صريح فى أنها للعرب من مسلمين ومسيحيين لا لليهود ولا للصهيونيين ، ولا لغيرهم ممن يريد سلبها منهم ، ويستغل حمق اليهود والصهيونيين فى الوصول إلى مآربه ، ليضرب العرب بهم ويضربهم بالعرب ، ويظفر بعد هذا بما له من مآرب وحينئذ يندم اليهود ولات ساعة مندم ، ويأسفون على إساءتهم لمن أحسن إليهم ولات ساعة أسف .

القصاص ؛ كما كان عليه الشأن عند العرب — والناحية الثانية أن نظام الطبقات عند الرومان كان ملحوظاً فى تطبيق هذه العقوبة ؛ فإذا كان الجانى من الأشراف استبدل النفى بعقوبة القتل وإذا كان من الطبقة الوسطى كانت عقوبته قطع الرقبة ؛ وإذا كان من الطبقة الدنيا كانت عقوبته الصلب أو إلقاءه طعاماً لحيوان مفترس ، أو يشنق .

وقد دخل على هذا النظام عدة تغييرات انتهت بتدخل الحكومة فى إقرار العقوبة وتنفيذها ، كما هو عليه الحال فى القوانين الحديثة

القتل فى الإسلام :

نزل فى عقوبة القتل آيتان أولاهما مكية وهى أول ما نزل فى القتل وهى قوله تعالى: (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف فى القتل إنه كان منصوراً) والأخرى مدنية وهى قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى : الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى . فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ؛ ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ؛ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون) .

كما وردت نصوص أخرى متفرقة فى القرآن نهت عن القتل منها : (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ؛ ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) . ومنها قوله تعالى : (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطئاً كبيراً . ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا . ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : « اجتنبوا السبع الموبقات وذكر فيها قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق »

أسباب النزول :

روى فى أسباب نزول القصاص أن بدوياً قتل آخر من الأشراف ؛ فاجتمع أقارب القاتل عند ولى المقتول وسألوه عما يريد ، فخيرهم بين إحدى ثلاث قالوا : ما هى ؟ قال : إما أن تحيوا ولدى ، أو تملأوا دارى من نجوم السماء ، أو تدفعوا إلى جملة قومكم ثم لا أرى أنى أخذت عوضاً .

تبين هذه الرواية مقدار ما جبلت عليه نفوس العرب من الإسراف فى طلب القصاص والتعنت فيه كأخذ الجانى بغيره والجملة بالواحد

استمر العرب يقتلون الجماعة بالواحد والرومان يفرقون بين الشريف وغير الشريف ؛ والتوراة تحابى المجنى عليه ؛ والإنجيل يفرط فى شأنه حتى ظهر الإسلام فنزلت آيات القصاص التى تنظم جزاء جريمة القتل وترسم عقوبتها على أسس من العدل والإنصاف سنذكرها فى مقال تال إن شاء الله فارتفع من الشرائع الأخرى مساوئها واستقرت محاسنها .

على حلمى

وأما حكم الدين فهو كحكم التاريخ والسياسة أيضاً ، لأن اليهود قد وعدوا بذلك الوطن في عهد إبراهيم حقاً ، إذ جاء في الآية — ٧ — من الأصحاح — ١٢ — من سفر التكوين (وظهر الرب لأبرام وقال : لنسلك أعطى هذه الأرض) وجاء في الآية ٢١ — من سورة المائدة (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين) وهذا خطاب من موسى إلى قومه حين ذهب بهم من مصر إلى هذه الأرض المقدسة .

ولكن الله تعالى لم يكتب هذه الأرض لهم لأنهم يهود ، ولا لأنهم أبناء إبرهيم عليه السلام ، ولا لأنهم قوم موسى عليه السلام ، لأن البشر عنده سواء ، وهما جميعاً خلقه وعبيده ، وعدله يشملهم عامة ، ورحمته تعمهم كافة ، وإنما كتب لهم هذه الأرض ليقوموا فيها بعهده ، ويؤدوا فيها حقه عليهم ، كما قال تعالى في الآية — ٤٠ — من سورة البقرة (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون)

وكان عهد الله تعالى عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وأن يصدقوا أنبياءه الذين يرسلهم إليهم ، فلم يفوا له بهذا العهد وكذبوا بعض من أرسله إليهم ، وقتلوا بعضهم ، كما قال تعالى في الآية — ٧٠ — من سورة المائدة (لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون) والتوراة وما بعدها من كتب العهد القديم مملوءة بأخبار نقضهم هذا العهد ، وكفرهم بالله تعالى ، وتكذيبهم أنبياءه .

وقد سلط الله عليهم من أخرجهم من هذا الوطن جزاء لهم على نقض هذا العهد ، وكان بختنصر أول من سلطه عليهم ، فأجلاهم من فلسطين إلى بابل ، وقد مكثوا بها إلى أن أعادهم كورش الفارسي إلى فلسطين ، فأقاموا بها ثانياً مدة من الزمان ، وأقاموا دولة لهم فيها دون دولتهم الأولى .

ثم سلط الله عليهم دولة الروم قبيل ظهور المسيح ، فقضوا على دولتهم قضاء لا مرد له ، وأجلوهم من فلسطين آخر جلاء ، لأنهم كذبوا مسيحه وحاولوا قتله ، وقتلوا ابن خالته يحيى بن زكريا قبله ، فعظم بغيهم ، وتفاقم شرهم ، وانقطع الأمل في صلاح حالهم ولم يبق معنى لبقائهم في فلسطين ، بعد أن ظهر المسيح بشريعة لا تختص بهم وحدهم . ثم جاء الإسلام بحمل الرسالة عامة للناس جميعاً ، واستوى فيها الخلق كافة ، فدان للمسيح من دان من الشعوب ، ودان للإسلام من دان منهم ، وبقى اليهود وحدهم يزعمون أن رسالة الله لا تتعداهم ، وأنه لم يعطف من الناس غيرهم

فاتفقت النصرانية والإسلام على نزع هذا الوطن منهم ليتحقق وعد الله بنزعه منهم إذا لم يفوا بعهده ، ويؤمنوا بأنبيائه لأن وعد الله حق ، وخبره لابد من تحققه في الماضي والحاضر والمستقبل ، ومن يمكن لهؤلاء اليهود في فلسطين من مسيحيي أوروبا وأمريكا يخالف المسيحية قبل أن يخالف الإسلام ، ويجري وراء السياسة الباغية التي توقع الناس في أفظع الحروب ، وتؤدي إلى خراب العالم ، ولا يقرها دين من الأديان .

وللأخلاق حكم في طمع اليهود في فلسطين أيضاً ، لأن العرب فتحوا لهم بلادهم في فلسطين وغيرها ، فوجدوا فيها جواراً كريماً ، ولقوا فيها عدلاً وأمناً ، وقد لفظتهم أوربا في القرون الوسطى كما تلفظهم الآن ، فلم يجدوا مأوى لهم إلا في بلاد العرب ، فقضوا فيها تلك القرون الطويلة ، لا ينالهم أحد بشر ، ولا تنظر إليهم عين بسوء ، بل يجدون منا أكرم عطف ، وينتفعون بنا أقوى نفع ، حتى صاروا ولهم بيننا أموال لا تحصى ولا تعد ، وأصبحوا وبيدهم زمام التجارة والصناعة ، فلا يحقد أحد هذا عليهم ، ولا يحاول أحد أن ينتزع شيئاً منهم.

أفيكون جزاؤنا على هذا كله أن يطمعوا في هذه البلاد التي آوتهم ؟ وأن يتخذهم أعداؤنا وأعداؤهم من متعصبي أوربا وأمريكا وسيلة لقضاء مطامعهم ، حتى إذا قضوا أغراضهم من تسخيرهم في حربنا قلبوا لهم ظهر المجن ، وطردوهم من فلسطين كما يطردونهم الآن من أوربا ، اللهم إنه لا يجوز شيء من هذا في شريعة الأخلاق ، وإن اليهود قد خرجوا في هذا الطمع الشنيع على حكم الخلق الكريم ، كما خرجوا على حكم السياسة والتاريخ والدين

ولا شك أن الظلم مرتعه وخيم ، والبغي عاقبته شر ، وقد بغى اليهود على المسلمين الأولين في المدينة وكانوا قلة يعدون بالعشرات ، وليس لهم من العالم على سعته إلا بقعة صغيرة في المدينة وما حولها ، فجزاهم الله على بغيهم شر جزاء ، وأعان هذه القلة عليهم فطردتهم من المدينة شر طرد ، ولم ينفعهم ما حاولوه من إثارة العرب على المسلمين ، وما جمعوه من الأحزاب لإخراجهم من المدينة ، لأن الله لا ينصر بغياً على عدل ، ولا يرفع باطلاً على حق واليوم يبغي اليهود على المسلمين وهم يملؤون الأرض من

إســـعاف النشاشيبي

للأستاذ داود حمدان

ودعا أيها الحفيان ذاك الشخـ ـص إن الوداع أيسر زاد
واغسلاه بالدمع إن كان طهرا وادفناه بين الحشى والفؤاد
واحبواه الأكفان من ورق المصحـ ـف كبرا عن أنفس الأبراد
واتبعوا النعش بالقراءة والتسـ ـبيح لا بالنحيب والتعداد

إى والله هـذا مقامك يا أديب العرب ، وواحد الدهر ، ويا حبيب المصحف ، وعاشق لغة القرآن ، ويا خليل محمد وخلصان دينه .

وإنه لقليل عليك أن تغسل بالدمع الطهور ، وتدفن بين الحشى والفؤاد ، ولـكن ... من أين لنا الدمع وقد جف من هول المصيبة ، وتمزق الحشى وذاب الفؤاد من شدة الحزن وحرارة الأسى ...

أى أديب العرب ! إنك لتجل عن أن يقول مثل رثاءك[1] ، ولن يقول رثاءك الحق إلا من يقول مثل هذه الأبيات ، أو من يقول مثل قولك فى شوقى وهنانو ، وهيهات ... وما هذه الـكلمة إلا وفاء لحق لزم ، وتنفيس لحزن أقام ولا إخاله يريم ، لتعذر العزاء عنك بسواك ، ومن سواك يسـد مسدك ويغنى غناءك ؟ وهل تعود الدهر الجود بالأفذاذ ؟ أنت لم يأت نظيرك من ألف سنة ... فإن كانت هذه سنة الدهر ، فيا طول ما ينتظر المنتظرون !

إن العربية ستؤرخ ابتداء فقرها من هذا النمط الجيد بارتفاع روحك الطاهرة إلى الرفيق الأعلى .

أى إسعاف ، لقد كنت والله إسعافاً بكل ما فى هذه الـكلمة من معنى : لقد أسعفت اللغة فقالت بلسان المرحوم أمير البيان : (قد أحسن الله إسعافى بإسعاف) ، وأسعفت الدين (بالإسلام الصحيح) مما يفترى عليه المفترون ويطعن فى مساواته الطاعنون ، وأسعفت الأخلاق الـكريمة فتمثلت بك بشراً سـوياً لا يعرف الـكذب قط ولا يستطيعه ، ولا الغش ، ولا الرياء ، ولا الجبن ، ولا البخل ، ولا القسوة ، ولا الـكبر، بل كأنما خلقت من الصدق والصراحة والجرأة والكرم والرحمة والتواضع ، وكيف لا تكون كذلك وإمامك محمد وطريقتك القرآن ؟ وأسعفت الفقراء والمحتاجين والغارمين ، فـكم من فقير أعطيت ، ومحتاج أغنيت ، وغارم لولاك كان من المفلسين ؟

(١) وهذا المعنى هو الذى أخر هذه الـكلمة إلى اليوم .

أقصاها شرقاً إلى أقصاها غرباً ، ومن أقصاها جنوباً إلى أقصاها شمالاً ، واليهود هم اليهود فى قلة وذلة ، والعالم ينبذهم نبذ النواة من هنا وهناك ، فهل يمكنهم أن يتغلبوا على المسلمين فى بلادهم ؟ وهل يمكن المسلمين أن يناموا على ضيمهم ؟ وهل يرضى الله عن هذا الظلم والبغى فلا يوقع اليهود فى شر بغيهم وظلمهم ، ولا يمكن للمسلمين منهم ، لينبذوهم إلى حيث لا يجدون مأوى ، لأن العالم كله قد اجتمع على كراهتهم ، ولم يبق لهم إلا المسلمون الذى يحملونهم على عداوتهم .

ووالله أيها اليهود الجاحدون ، إنا لن ننسى لـكم أنا آويناكم وأنتم ضعاف ، وقد طردكم أهل أوربا من بلادهم ، ففتحنا لـكم بلادنا ، وها أنتم أولاء اليوم تحاربوننا لتمكنوا لهم من رقابنا وتكونوا مخالب قطط لهم علينا ، وقد عفونا عنكم بعد إساءتكم الأولى لـلمسلمين فى المدينة ، ولن يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين

ووالله أيها اليهود الجاحدون ، إنا لن ننسى أنا نعيش نحن وإخواننا المسيحيون فى كل بلد عربى عيشة سمحة كريمة ، وهم يوافقون أولئك المتعصبين من أهل أوربا فى الدين ، وكانوا أولى منكم بأن يكونوا مخالب قطط لهم ، ولـكنهم أكرم على أنفسهم من أن يكونوا مطايا للطامعين فى بلادهم ، أما أنتم فلم ترعوا للوطن العربى حقاً عليكم ، ولم تذكروا إحساننا إليكم ، فانقلبتم أعداء لنا من غير ذنب جنيناه ، وخنتم بلادنا وعهودنا ، وسترون عاقبة هذا البغى ، فنطردكم من فلسطين كما طردناكم من المدينة وما حولها ، والتاريخ يعيد نفسه ...

عبد المتعال الصعيدى

هل يملك تحريم تعدد الزوجات؟

للأستاذ إبراهيم زكي الدين بدوي

تمهيد :

١ — ظننت بعد نشر تعقيبي في مجلة المجتمع الجديد على رأي معالي عبد العزيز فهمي باشا في تعدد الزوجات(١)، وإمساكه عن الرد فترة طويلة، أن معاليه قد اقتنع بما سقت إليه من حجج دفعاً لشبهاته التي أوردها على التشريع القائم في هذا الموضوع؛ أما وقد نشر أخيراً بحثه المستفيض(٢) رداً على تعقيبي فإنه لا يسعني سوى أن أبدي إعجابي بهذا الجهد يبذله معاليه في شيخوخته المباركة دفاعاً عن رأيه، فيضرب بذلك أروع الأمثلة لشباب الجيل.

بيد أن احترام معاليه وإكبار جهده لا يحولان دون تعقب آرائه بالكشف عن وجه الحق فيما يذاع منها على الناس وبخاصة في مثل هذا الموضوع الذي هو — كما قال معاليه بحق — موضوع الله والنبي والأمة والتشريع الإسلامي.

٢ — وأبدأ بالرد على عتب وجهه معالي الباشا ناسباً إلى أنني تلقفت كلمة شردت منه في حديثه الشفوي وهي كلمة « بتاتا » التي توهم بظاهرها أنه تحريم مطلق لامثنوية فيه « فبنيت اعتراضي على هذه الكلمة الشاردة تاركا ما في تفصيل الحديث. والحقيقة أنني لم أتلقف كلمة بعينها في الحديث شاردة أو مستقرة حتى يتوجه إلى هذا العتب، ولكن معاليه هو الذي عدل رأيه المنشور في الحديث تعديلا جوهرياً أصبح بعده يرى في هذه الكلمة شروداً، ويمكن مقارنة ما استقر عليه رأي معاليه في بحثه الأخير بما كان عليه رأيه أولا في النقط الآتية :

(١) استقر رأي معاليه في بحثه الأخير على أن آية (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع؛ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) «ليست مسوقة لتحديد عدد الزوجات مطلقا، بل هي مسوقة بالذات وبالقصد الأول إلى التضييق على الخاطبين في نكاح من تحت حجرهم من اليتيمات « المفضي بهم إلى أكل أموالهن بما ينافي العدل فأراد المولى سبحانه تقريعهم على إتيان هذا المنكر تحت ستار النكاح بما بينه من أن لهم في نكاح الأخريات غير اليتيمات متسعا « لا واحدة ولا اثنتين واحدة بعد أخرى ولا ثلاثا واحدة بعد الاثنتين الأوليين بل حتى مثنى وثلاث ورباع، أي جزافاً بلا حساب ولا عدد » غير أنه تعالى قيد هذا التعدد غير المحدود العدد باشتراطه العدل الذي هو أساس القول في هذه الآية فأردفها بقوله (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) — بينما كان معاليه يرى في حديثه أن الآية المتقدمة « هزؤ وسخرية بمن يريد تعديد الزوجات وأن فيها إيكال الأمر لمن يعلم الله أنه لا يستطيع القيام بالأمر. فمخاطبة غير المستطيع بما هو من شأن المستطيع تلك كلها سخرية بالمخاطب : فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ... ! ثم إنه كيما يرد المخاطب إلى مقتضى العقل الصحيح، ولكي يعبر عما يجده المخاطب في نفسه من عدم الاستطاعة أضاف فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ... أي وأنا أعلم كما تعلمون أنكم تخافون عدم العدل لأن غرائزكم الفطرية تحملكم على هذا الخوف » ومؤدى ذلك أنها مسوقة قصداً لبيان حكم تعدد الزوجات، وأنه التحريم في الجملة على نهج خاص من الأسلوب، لا لغرض آخر. فالفرق أوضح من أن يحتاج إلى إيضاح.

(ب) استقر رأي معاليه أيضاً على أن آية « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » مقصود بها بيان أن العدل المطلوب في الآية المتقدمة — وهو العدل المطلق الكامل — وإن كان غير مستطاع إلا أنه غير مشروط في الزوجات الموجودات وقت نزولها فرخص سبحانه — تخفيفاً ورعاية لحقوقهن المكتسبة قبل هذا التشريع — بالإبقاء عليهن وإن كن متعددات للرجل الواحد بشرط العدل المستطاع بينهن، وذلك بقوله تعالى (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) على أن يكون ذلك حكما مؤقتا خاصاً بهن دون من يعقد عليهن بعد ذلك اللاتي يسري عليهن شرط العدل المطلق الذي هو الحكم الدائم. فهذه الآية « مجرد تخصيص أو بيان لحكم (فإن خفتم

(١) العدد ٢ من مجلة « المجتمع الجديد » فبراير سنة ١٩٤٨

(٢) عدد مجلة « الثقافة » الصادر في ٩ / ١٢ / ٤٧، وتلخيصه بعدد مجلة « الرسالة » الصادر في ٢٢ / ١٢ / ٤٧.

ألا تعدلوا فواحدة) من جهة زمان تطبيقه » بينما كان يرى في حديثه أن أحد شقي هذه الآية وهي قوله تعالى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) إنما هو تعبير عن فكرة الآية الأولى القائمة على السخرية بمريدي التعدد وتحديهم باشتراط العدل « تعبيراً هو من أشد ما يكون بيانا للواقع الذي يعلمه هو فقال . ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ··· ولن ، كما يقرر النحاة ، هي أشد أدوات النفي للمستقبل إذ تنفيه نفياً باتاً ؛ فالقرآن يسجل بصريح العبارة أن الاستطاعة مستحيلة . أي أن العلة المتوهمة للتصريح بالتعديد لن تتحقق أبداً » هذا ولم يتعرض في حديثه اطلاقاً للشطر الثاني المكمل للآية وهو قوله تعالى (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) مع أنه اعتبره في رأيه الأخير مناطا للحكم المقصود بالآية كلها وهو استثناء الزوجات الموجودات وقت النزول من اشتراط العدل المطلق على ما بينا .

(حـ) وبعد ما بسط معاليه ما استقر عليه رأيه أخيراً في تأويل الآيتين على النحو المتقدم استشعر تضاربا ظاهراً بين التأويل يتمثل في تقريره أن الآية الأولى ليست مسوقة لتحديد عدد الزوجات الجائز الجمع بينهن مطلقا وإنما هي مسوقة لغرض آخر ، وتقريره في الوقت نفسه أن الآية الثانية جاءت مخصصة لحكم تحريم التعدد المستفاد من الآية الأولى في الجملة مما يتبين معه أن تكون هذه مسوقة للحكم المذكور وإلا لما احتيج إلى تخصيصه ، كما استشعر أيضاً ركة تشوب النظم الحكيم بالأخذ والرد في غير ما حاجة لذلك نتيجة لهذا التأويل ، فتكلف لسد هذه الثغرة تعليلا ينطوي على كثير من البراعة وقد جاء ذلك في البند ١٥ من بحثه تحت عنوان ·· لا إشكال في النصوص ، وفي البند ١٥ في سياق محاولة رد تمسك عليه بكلمة « بتاتا » — وحاصل هذا التعليل « أن الآية الأولى لم تأت قط بقصد التصريح بتعديد الزوجات إلى أربع فقط كما هو مزعوم وإنما أتت بظاهرها . غير مانعة من أخذ أي عدد كان من النساء ، ولكنها مع هذا التوسيع التقريبي الجزافي خشيت أن يسيء المخاطبون فهمها فنبهتهم إلى لزوم الاقتصار على واحدة عند خوف عدم العدل . وبما أنه يبدو أن النبي وكثيراً من الناس كانوا على عادة العرب متزوجين بأكثر من واحدة ، فخوفهم من عدم العدل ماثل بالطبع وقلوبهم واجفة واقعة في الاضطراب حتما ، وهي حال لا تطاق ، فما العمل ؟ هل يسارعون إلى العمل بقوله (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) وحينئذ يفارقون ما زاد على الواحدة ؟ أم إن الله في لطفه وكرمه والدين الإسلامي في يسره وسهولته ينظر إلى الزوجات التي تبين ، والأطفال التي تهمل ، والبيوت التي تخرب ، والعرب الواجب تأليف قلوبهم لا تنفيرهم ، فيجعل تشريعه للمستقبل ويتساهل في الماضي وفي أثر النكاح القائم ويتركه حتى يزول بطبيعه بعد قليل من الزمن ، شأن كل تشريع سليم يرضاه العقل ويطيقه الاجتماع ؟ يبدو لي أن هذا هو الواقع ، وأن المسلمين هلعوا وجأروا هم والنبي إلى الله متململين من هذه المحنة الراهنة فلطف بهم فبين مراده بأن أنزل قوله (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) ··· الخ » إلى أن قال معاليه : « لأننا جميعا نعرف — كما أشرت إليه من قبل — أن الدين الإسلامي عالج نقائص العرب تدريجيا مع الأناة والتلطف والابتعاد عن كل ما ينفرهم بلا مقتض . ومسألة تعديد الزوجات كانت من العادات المتأصلة فيهم ، فصادمتهم بتحريمها بالنص القاطع القاسي لا محل لها لكنه اتخذ لهذا أسهل طريق وأحكمه ، طريق التحدي بالعدل ··· الخ » وهذا ، كما قدمت ، تعليل بارع من معالي الباشا ، لكنه لا يقوم إلا على محض افتراض ولم يدفع ، مع ذلك ، التعارض بين تأويل الآيتين كما هو ظاهر . أما رأيه الأول فقد كان منسقا على الأساس الذي بنى عليه فبدهي أنه لم يرد فيه شيء من هذا التعليل إذ لم يكن صاحبه بحاجة إليه قبل تعديل رأيه .

(د) فليس بعجيب إذن بعد ما عدل معاليه رأيه هذا التعديل الجوهري الذي تكلف كثيرا لتبرير تعارضه محاولا بهذا كله دفع ما أوردناه على رأيه الأول بمقتضى قوله تعالى (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) — أقول ليس بعجيب إذن بعد كل هذا أن يأتي على تلخيص ما استبقى من رأيه في عبارات تحمل طابع التردد والحذر الشديد فيقول في البند ١٤ « القرآن الكريم لم يحرم تعدد الزوجات بنص صريح قاطع خاص بل أني إذا كنت ذكرت في حديثي الأول أنه يحرم التعدد فواضح من الحديث أن ذلك استنتاج من الآيتين رقم ٣ و (رقم ١٢٩) واحتياط مني بصفتي مسلما يجب أن يعنى بتقرير ما يغلب على ظنه أنه هو المقصود

للنصوص الوارده بكتاب شريعة » ويقول فى البند ١٧ « قد ترك القرآن الناس على حريتهم وعاداتهم يتزوجون أى عدد من النساء يريدون . وغير صحيح — فى نظرى — أنه حد من هذه الحرية نصا أى تحديد ، بل كل الأمر أنه نبههم إلى القاعدة الأساسية فى تشريعه وهى مراعاة العدل والابتعاد عن مزالق الجور فأوجب على المسلم عندما يقوم فى نفسه الخوف من عدم العدل أن يقتصر على واحدة . ثم أكد هذا المعنى تأكيداً لا هوادة فيه (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) فاصبح الأصل الواجب أن يحتذيه كل مسلم يريد الاحتياط لنفسه هو الاقتصار على زوجة واحدة » ثم يقرر إمكان « المحيص » و « الهوادة » حتى عن هذا الأصل بامكان الاستثناء منه على أساس القواعد العامة فى دفع الحرج وإباحة المحظورات عند الضرورة لأن « هـذا الأصل قد يقضى العدل نفسه بالخروج عليه فى بعض الصور » واستثنى الباشا بالفعل حالتين قال باباحة التعدد فيهما . فأين هذا كله من رأيه الأول الذى اجملناه فى الفقرة ب ؟ أين هذه العبارات المحتاطة أشد الحيطة فى التعبير عن تحريم مقيد للتعدد مستنتج من ثنايا نصوص مقيدة (بظاهرها كما هو رأى الباشا أخيراً) للاباحة المطلقة غير المحدودة بعدد؟ أقول أين هذا من إنكار معاليه — فى حديثه الأول — على الحكومة وضع تشريع لتقييد تعدد الزوجات بجعل أباحته رهينة برقابة القضاء الشرعى على توفر الأسباب الداعية إليه والقدرة على الوفاء بشرط العدل بين الزوجات ، وقوله « وخير للحكومة أن تأتى للأمر مباشرة فتعالجه من جذوره ، وذلك بأن تحرم بتاتا تعدد الزوجات » ثم قوله فى موضع آخر من الحديث « لا أوافق البتة على طريقة المشروع تلك الطريقة التى يراد بها عـدم تعدد الزوجات ولكن بسبل ملتوية مراد بها قطع أسباب الاعتراض ممن يظنون أن لهم على خلاف مفهوم نصوص القرآن الصريحة حق الاعتراض » ؟ هلا وسم معاليه — إن كان حقا قصد ببحثه الأخير تأييد عين رأيه الأول — الاقتصار على طلب تعديل مشروع التشريع طبقا لنتيجة هذا البحث ، والبون بينهما غير بعيد ، بدل أيجاب نقض المشروع من أساسه بما فى ذلك من زلزلة تشريعية بنقض التشريع القائم أيضاً من أساسه ؟ بل أن معاليه ليستهين فى حـديثه ذاك — فى سبيل القضاء على كل عائق يحول دون تنفيذرأيه فى التحريم البات الحاسم — فيجيب على اعتراض وجه إليه بحق بان إصدار التشريع الذى أشار به معاليه مدعاة للزنا وهو فساد كبير بقوله « للفرنسيين مثل يقولونه C'est un Nécessaire mal أى شر لابد منه » بينما هو فى رأيه الأخير يقول باباحة التعدد — فى إحدى الصورتين اللتين استثناهما معاليه — إبتناء تكثير النسل عقب حرب تدخل فيها الأمة فتقضى على كثير من رجالها » إذ الضرر من خوف الجور فيها لا يصح أن يقام له وزن بجانب ذلك النفع المظيم الذى يأتى به التعديد » مع أن القاعدة المعمول بها فى جميع الشرائع أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

٣ — لقد أطلت فى بيان هذه النقطة الشكلية لكننى أرى هذا القدر من البيان ضروريا لا تعريضاً بمعالى الباشا — وحاشاى أن أقصد إلى شىء من ذلك — ولكن قصد إظهار الناس على الحقيقة التى اتضحت لى من مقابلة الرأيين — وأرجو أن يغتفر لى معاليه التصريح بها — وهى أن رأى معاليه فى هذا الموضوع الخطير لم يكن نتيجة الدراسة والتمحيص بقدر ما كانت الدراسة والتمحيص نتيجة للاسراع بابداء هذا الرأى أولا والحاجة بعد ذلك إلى دفع ما وجه إليه ؛ وهذه الحقيقة قد تساعد الكثيرين — فيما أرى — على وزن رأى معاليه فى هذا الموضوع بميزان صحيح

٤ — هذا وبمناسبة عتب الباشا — لا يفوتنى أن أنوه بانه إذا كان ثمة من يتوجه إليه العتب فهى « مجلة المجتمع الجديد » لتقريرها فى تقديم بحث معالى الباشا الأخير عبارة راعت فيها المجاملة أكثر من رعايتها لاى شىء آخر ، وبخاصة ما نادت به من حيادها التام فى الموضوع ، وهى التى عبرت فيها عن رأى معاليه الأول « بان الشريعة الإسلامية تحرم تعدد الزوجات تحريما باتا ، إلا فى أحوال الضرورة القصوى » فالاستثناء الوارد فى هذه العبارة محض تبرع من المجلة إذ الواقع أنه لم يرد فى حديث معاليه ذكر لاستثناء من أى نوع فضلا عن أن الحديث بجملته وتفصيله مبنى ومبنى يقطع بالتحريم البات الذى لا يدع مجالا للاستثناء على ما سبق أن بينت .

(يتبع)

إبراهيم زكى الدين بدوى
المتخصص فى الشريعة الإسلامية والقانون
من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد

الحمــــــامة الطريدة

للأســــتاذ محمود الخفيف

في وحدة سامرت فيها الأسى   طافت بي الذكرى فلم أهجع
شكوت لليل الضنى والجوى   والوجد والسهد وهذا الدجى
زادت غواشي الهم أسدافه
ودات الوهم على مضجعي

في ليـــلة غارقة الأنجم   ضل بها الفجر عن المطلع!
لكل ألوان الأسى تنتمي   حلكتها من همى الأقتم
الذئب مقرور بها هاجع
والجن لم تأنس إلى موضع

الليل جهم، صرصر ريحه   صفيرها يزداد في مسمعي
أجش وحشيُّ الصدى نوحه   مرتعش من قره دوحه
أطل لا تبصر عيني سوى
أشباحه في الأفق الأسفع

واعجبا ماذا أرى في الظلام   والصرصر الهوجاء لم تقلع؟
يقظان إذ أبصر لاف منام   ورقاء في سمي منها بنام
قد أقبلت ملهوفة في الدجى
على هدى المصباح في مخدعي

حطت على نافذتي خائفه   مادونها في الليل من مفزع
نازفة واحــزنا راعفه   بالغوث في أناتهـــا هاتفه
كم ذا رنت صوبي في لهفة
رف لها الخافق في أضلعي

وهنـــانة تلهث في زاويه   تجـــاهد أفلت من مصرع
من جارح أحسبهـا ناجيه   تخفيه عني الظلمة الغاشيه
وربما كان على خطوة
لو لم ير المصباح لم يرجع

مددت بالمـاء يدى في وعاء   فأجفلت من ذلك المشرع
تلهث لا تطلب غير الثواء   تنكر ما أبدى لها من رثاء
مشبهتي في الوجد لا تنفرى
ما كنت يا ورقاء بالمدعي

أنت وما أوجع هذا الأنين   حسى ما في خافق الموجع
طريدة الظلمة، قلبي الحزين   أبكاه هذا الحزن لو تعلمين
بكاؤك المكتوم كم هزني
والأصل أن تلعي وأن تسجعي

كم هجت يا ورقاء أشجانيه   أنا الذي كم أسبلت أدمعي
كم ذا بكى عان فأبكانيه   وكم بكت في الطرس ألحانيه
طالبة المأوى كلي واشربي
آمنة في جيرتي واهجعي

كم صورة مثلت في خاطري   يشقى بها كل فؤاد يعي
وارحمتا للساهــد الساهر   الواجد المنفرد الشـــاعر
مؤنستي كم صورة للأسى
ألقى بها في قلبي المترع

فيك خيال للشقي الطريد   لم يأوه في الأرض من موضع
مروع في كل آن شريد   تسلمه الدنيا لخوف جديد
جهم المشايا منذر ليله
في صبحه بالحادث المفزع

وفيك طيف البائس المعدم   منكس الهامة مستفرع
مبتئس النظــرة مستسلم   عان، هنا أو هاهنا يرتمي
بكل باب أن مستصرخا
لم يرو منه الذل أو يشبع

وفيك يا ورقاء ذل الضعيف   لم ينجه الضعف ولم يشفع
أضناه في دنياه كسب الرغيف   في زحمة العيش هزيل لهيف
من دمه كم عاش ذو قوة
لم يدر ما الرحمة أو يقنع

وفي جراحاتك مرأى الجريح   خاض الردى في هوله المفظع
ممزق ظمآن عان طريح   في ركنه بعد العناء الفسيح
يذكر طعم الموت في موطن
يا هوله للموت من مرتع

أطائر، أم أنت روح شفيق   جاء يواسيني ويبكي معي؟
وهم به في الوجد قلبي خليق   غير الأسى ما إن له من رفيق
مشبهتي في الوجد كم دمعة
ذرفتها في الليل أن تدمعي

الخفيف

طرائف من العصر المملوكي :

الشعر والنقد الاجتماعي

للأستـــاذ محمود رزق سليم

نقد المجتمع من أهم ما يعنى به المصلحون ، إذ يقوم إصلاحهم على دعامة منه ، ينظرون فى شئون مجتمعهم ، ويتتبعون ضروب الفساد فيه ، ثم يحملون عليها حملات شعواء لا تبقى ولا تذر ، ويبينون للناس ماهم مترددون فيه من شقاء ، ثم يعملون جاهدين على إنقاذهم من ترداهم ، وتوجيههم إلى سبل السعادة المرجوة . فمثلهم مثل الأطباء يتحسسون الداء ويصفون الدواء . وكلما اتضحت ضروب الفساد ، وناء المجتمع بما فيه من أمراض ، اشتدت الحاجة إلى هؤلاء المصلحين ، ودعت الداعية إلى بروزهم فى الميدان ليعملوا ويكافحوا . فيلجأ الخطيب منهم إلى خطابته والكاتب إلى مقالته والشاعر إلى قصيدته وذو الرأى إلى قريحته وفكرته . وقد يكون الشعراء أبعد القادة وأولى الرأى عن النظر فى شئون المجتمع من ناحية تلمس نقائصه ، وتتبع مثالبه ، والعمل على تلافيها والدأب على إصلاحها . إذهم فى أغلب أمرهم صدى للمجتمع نفسه بما فيه من نقائص ومثالب ، لذلك يتلمس مؤرخ الأدب أحياناً نقائص عصر ومثالبه فى شعر شعرائه ، كما يتلمس مزاياه وفضائله سواء بسواء . فكم يكون جميلا إذن ، أن نرى الشعراء يدلون بدلوهم فى الدلاء ، ويشاركون فى باب الإصلاح ، ويتتبعون مثالب مجتمعهم ونقائصه فينحون عليها باللائمة ويثقلون عليها بالنقد المرير اللاذع ، ويشهرون أمر فساده بين الناس حتى تتضح معالمه وتتبين شياته وهناته ...

إنها لظاهرة أدبية طيبة واتجاه فكرى سام ، يسجله مؤرخ الأدب لشعراء عصر من العصور ، إذا ما وجد من بينهم ثلة صالحة يهولها فساد المجتمع ، ويروعها انتشاره وترديه ، فتعمل جاهدة فى صدق على نقده وتنفيره مما هو فيه ، على أمل أن يثوب إليه رشده ، ويثوب إليه صوابه . ثم هى بذلك تمد التاريخ بوثائق صادقة يقرأ فيها بوضوح بعض نواحى العصر .

هكذا نسجل — ونحن نؤرخ العصر المملوكى وأدبه — هذه الظاهرة النابهة لشعرائه . فقد أنحى النقد الاجتماعى غرضاً شائعاً هاماً بين أغراضه الشعرية المطروقة .

وإن القارىء ليملؤه العجب ويأخذه الدهش إذا علم أن شعراء هذا العصر هم وحدهم الذين حملوا راية النقد الاجتماعى دون سواهم من القادة وأولى الرأى والبصر . لذلك كان حمدنا لهم مضاعفاً وثناؤنا عليهم مستطاباً .

ولا نتجنى على غيرهم من أصحاب البيان وأهل القلم واللسان، فقد ترى لكاتب نقدة عابرة ، أو تسمع لخطيب زجرة طائرة . ولكن ذلك كان على وحى وارتياب . ولم يكن خطة موضوعة ولا منهاجاً متبعاً . بل حوادث فردية ووقائع شخصية . وإنك لو طويت الكشح عن عظات لبعض علماء العصر على المنابر أو غيرها ، يوجهونها للشعب أو حكامه ، وإنك لو لويت الجيد عن بعض ما تخلل مقدمة ابن خلدون وبعض كتب التاريخ من نقدات ، ما وجدت بعد ذلك من النقد الاجتماعى شيئاً يدل عليه ويشار إليه . فإذا أردت أن ترى أين النقد حقاً ، فانظر فى شعر شعراء العصر ، فإنك واجد فيه — بلا ريب — ماتشتهى.

أما خطباء العصر فكانوا من علماء الدين جلهم اتخذ الخطابة المنبرية وسيلة إلى الرزق أكثر منها سبيلا إلى النصيحة ، وطريقاً إلى الجاه أقرب منها أداة إلى الإصلاح . وكتاب العصر كانوا فى شغل شاغل بوظائف الدواوين وتدبيج رسائل السلاطين ، وما يدره عليهم ذلك من خير وفير ورزق كثير . وعلماء العصر ممن شغلوا أنفسهم بالتأليف كانوا فى أبراجهم العاجية يعيشون بمنجى عن الشعب ومنأى ، بين ترف ذهنى ونعيم فكرى . وليس لهم هم إلا أن يؤدوا للعلم أمانته ويدونوا ما خلفته العصور وما وعته الصدور . فلم يبق إلا الشعراء فهم من الشعب وإليه ، وهم تراجمته ومرائيه ، ولسنه الشروع ، وحناجره النافثة ، صوتهم من صوته ، ونداؤهم من ضميره ، ونقدهم قبس مما يتردد فى أعماقه ويتراءى فى آفاقه . والشعب — على ضعفه وعفاته — له نقدات مريرة ولفتات خطيرة ، تنتزى برنينها نفسه ، ويموج بأناتها فؤاده. ولكن فكره موءود، ولسانه معقود، وغضبته مطروحة ، وحدته مكبوحة . ولا من يترجم عنه أو يتحدث بما فى نفسه إلا شعراؤه . هكذا كان شعراء العصر المملوكى .

والمجتمع المصرى حينذاك كان فياضاً بضروب من الفساد لا حد لها ، غاصاً بمواضع النقد ، قميناً بالحلة عليه والسعى فى إصلاحه . ولكن هيهات .

لقد كان الشعب يعاني من حكامه جوراً وعسفاً ، ومن موظفيه نهباً وسلباً وإهمالا . وكان هؤلاء طبقتين متميزتين عن بقية طبقات الشعب التي منها طبقات التجار والزراع والصناع ، لا تكاد تجمع بينهم جامعة صالحة إلا جامعة الدين والوطن . وكانت مشاكل الأسرة لا تقف عند حد ، وإدعاءات الطوائف لا تعرف هوادة . وكثر أدعياء العلم والأدب ، ومحترفو الزهد والورع . وكادت الرشوة والسعي بها إلى المناصب تصبح قانوناً منظماً . وذاعت السرقات الأدبية في غير مبالاة . وانتشر الزنا واللواط والتسري بالغلمان ... وشرب الخمر وتعاطي الحشيش ، إلى غير ذلك من مفاسد شائعة ذائعة .

نظر الشعراء إلى كل ذلك فنقدوه وحملوا عليه ، وخلدوا عنه في التاريخ صفحة لاتلين ولا تمين . ولسائل أن يقول لم اهتم الشعراء كل هذا الاهتمام بنقد مجتمعهم ، ولم ينصرفوا عنه انصراف سواهم راضين منه بالعافية والسلامة ؟ نعتقد أن في مقدمة أسباب هذا أن المصر بحكامه وشعبه جهل مكانتهم ونكر منزلتهم وأن الثراء عن طريق القريض كان قد صوح زمانه ، وذوى بنعمه وريعانه ، فلا سلطان يسخو ولا أمير يجود . لهذا قاسى الشعراء مع ألم التنكران مرارة الحرمان . فأحقد ذلك نفوسهم وأحنقها ، وأثار خواطرهم وأقلقها ، والمحروم واجد النفس مفتوح العين على الثغرات يرى منها مالا يراه سواه ... ثم هم أمنوا النقمة واطمأنوا إلى العاقبة ، وذلك لأن الحكام أعاجم بالفطرة لايفهمون من الشعر إلا أثارة . وهم عن مساقط الشعراء مشغولون بحروبهم في الخارج أو فتنهم في الداخل ، ثم هم بين هذه وتلك يخبون في نعيم وارف وترف فياض ، يحجب عن أسماعهم شكوى المحروم وأنة المكلوم ودعاء المظلوم — كان الشعراء إذن في حرية رافهة وأمن واسع ، وانطلقوا من كل قيد يخشاه الأديب على نفسه حتى قيود المجاملة والرياء ، وثارت ثائرة بعضهم حتى خلط في حديثه بين النقد والهجاء . ولو قد وجدا في الشعب مستجيباً وملبياً لكان لنقدهم أثر حميد وعاقبة نافعة ، وفعل رشيد .

ولا يهولن القارىء — إذا ما عرضنا عليه نماذج النقد — ما يراه فيها أو في بعضها من نزول في مستوى أسلوبه ، وبخاصة إذا قاسه بما درس من شعر أندادهم في عصور كانت فيها اللكنات العربية لا تزال على مجادتها أو في عصور التقت فيها الثقافات ولقحت العقول وكرمت المغريات على القول .

وبطالمنا في أول ما نتوقه ، نقد شرف الدين البوصيري (٦٩٥هـ) . كان البوصيري حسن السيرة صادق السريرة وظف في مطالع حياته في دواوين الدولة كاتباً ، فرأى من عبث كتابها وجباتها ماهاله من عبث . وشهد من إهمالهم ما راعه من إهمال . فجار منهم بالشكاية وأنحى عليهم بالزراية فقال يخاطب أحد أولي الأمر :

فلا تدن منهم واحداً منك ساعة ... ولو فاح من برديه مسك وعنبر
وبرد فؤادي بانتقامك منهم ... فقد كاد قلبي منهم يتفطر
منعت بهم حظي شهوراً ولم أصل ... إلى حظهم حتى مضت لي أشهر
فما فيهم — لا بارك الله فيهم — ... أخو قلم إلا يخون ويغدر

وقال فيهم أيضاً :

نقدت طوائف المستخدمينا ... فلم أر فيهم رجلا أمينا
فقد عاشرتهم ولبثت فيهم ... مع التجريب من عمري سنينا
فكتاب الشمال هم جميعاً ... فلا صحبت شمالهم اليمينا
فكم سرقوا الغلال وما عرفنا ... بهم فكأنهم سرقوا العيونا

ومنها يذكر من ادعى منهم النسك ، ويذكر اختلاف الطوائف في مصر وإدعاء كل طائفة بحقها فيها :

تنسك معشر منهم وعدوا ... من الزهاد والمتورعينا
وقيل : لهم دعاء مستجاب ... وقد ملئوا من السحت البطونا
تفقهت القضاة فخان كل ... أمانته وسموه الأمينا
وما أخشى على أموال مصر ... سوى من معشر يتأولونا
يقول المسلمون : لنا حقوق ... بها ولنحن أولى الآخذينا
وقال القبط : نحن ملوك مصر ... وإن سواهم هم غاصبونا
وحلت اليهود بحفظ سبت ... لهم مال الطوائف أجمعينا

ومن طريف نقد البوصيري قصيدته الرائية الفكاهية التي وصف فيها حال أسرته في رمضان وعيد الفطر ، وما استحدثاه بين أفرادها من خلف ونزاع هما نتيجة الحرمان . وهو وصف يشعرك بما للفاقة من أثر سيء في التفرقة بين أفراد الأسرة . ويشعرك بأن أسرة البوصيري هي نموذج للأسرة المصرية المتوسطة ، ونموذج لمشاكلها من عهده إلى الآن ومنها يصف أفرادها قال :

صاموا مع الناس ولكنهم ... كانوا لمن أبصرهم عبره
إن شربوا فالبئر زير لهم ... ما برحت والشربة الجره
لهم من الخبز مسلوقة ... في كل يوم تشبه النشره
أقول مهما اجتمعوا حولها ... تنزهوا في الماء والخضره

ثم يصف العيد وتطلع الأبناء فيه إلى الكعك والنقل ، ثم يدب من النزاع بينه وبين زوجته ، وتدخل أخت الزوجة في ذا النزاع لمصلحة أختها ، فهي بذلك تضرم نار العداوة بين وجين ، وتهون شأن الزوج وتجرى عليه زوجته ، فتنتهى المأساة ، تستقبل رأسه بآجرة . وهكذا نرى كيف يفشى الجهل بأصول ياة وروابط الأسرة عيون أفراد الأسرة المصرية من قديم الزمان يفهم بعضهم أن رابطة الأسر شركة تعاونية بل فرصة استغلالية كذا . ومما يشبه قول البوصيري في كتاب الدواوين ، قول ـه الدين الواسطي يشكو قوما إلى نائب السلطان بالشام قال :

نب السلطان لأنك غافلا   عن قتل قوم للظواهر زوقوا
م تجار بل لصوص كلهم   فأمر بهم أن يقتلوا أو يشنقوا
الك لا تجدى إليك شكاية   إلا لأنك حائط لا ينطق... الخ

وقال شهاب الدين الأعرج ينقد الأتراك والقبط ويذكر تئثارهم بالرزق :

يف يروم الرزق في مصر عاقل
ومن دونه الأتراك بالسيف والترس
. جمعته القبط من كل وجهة
لأنفسهم بالربع والثمن والخمس
رك والسلطان ثلث خراجها
وللقبط نصف والخلائق في السدس

ونقد كمال الدين الإدفوى (٧٤٨) هـ صاحب كتاب «الطالع ميد» حالة التعليم والمعلمين في عصره فقال :

الدروس بعصرنا في عصرنا   طبعت على لغط وفرط عياط
احث لا تنتهى لـنهاية   جدلا ونقل ظاهر الأغلاط
رس يبدى مباحث كلها   نشأت عن التخليط والأخلاط

ومنها قوله :

اضل التحرير فيهم دأبه   أقوال رسطاليس أو بقراط
رم دين الله نادت جهرة   هذا زمان فيه طى بساطى

وقال مجد الدين بن الخياط يصف شعارير زمانه — وهم كثر كل زمان — :

متشاعرى عصرى أناس   أقل صفات شعرهم الجنون
ون القريض قيام وزن   وقافية وماشاءت تكون

وبمناسبة ذكر الشعراء نسوق بيتين من أبيات لشهاب الدين الأنصارى يهجو منهم من يقترف ذنب المدح فقال :

أرى الشعراء تكسب عارا   بهجائهم وتحملوا الأوزارا
مدحوا الأخساء اللئام فضيعوا الـ   أشعار لما أرخصوا الأشعارا

هذا مع العلم بأن قوما من الشعراء ربئوا بأنفسهم عن المدح بل عن صناعة الشعر وفضلوا عليها حرفة متواضعة احترفوها . انظر إلى أبي الحسين الجزار يقول :

كيف لا أشكر الجزارة ماعشـــت   حفاظا وأرفض الآدابا
وبها صارت الكلاب ترجيـــني   وبالشعر كنت أرجو الكلابا

وكثير من الشعراء نعى حظ الآداب ورثى لحال الشعراء وشكا انصراف الناس عنهم وعن إنصافهم .

وكانت الصوفية قد وجدت في هذا العصر مراحا خصيبا ومرعى رطيبا ، غير أنه — بلا ريب — اندس بين أهلها من ليس منهم فشابوها وعابوها :

فكان ذلك مثارا للنقد القاسي المقذع . قال الأديب المؤرخ فتح الدين بن سيد الناس :

ماشروط الصوفي في عصرنا قطـــما   سوى ستة بغير زيادة
وهى ...... والسكر والبطـــلة   والرقص والغنا والقيادة
وإذاما اهتدى وأبدى اتحادا   وجيلا من خلوة وإعادة
وأتى المنكرات عقلا وشرعا   فهو شيخ الشيوخ ذو السجادة

ونختم هذا الحديث بذكر أحد أدباء العصر وهو الشاعر جمال الدين السلمونى من شعراء عصر الغورى فقد وقعت بينه وبين قاضى قضاة عصره عبد البر بن الشحنة الحنفى ، فتنة أوذى الشاعر بسببها ، وليس هنا مجال تفصيلها وكان الشاعر قد هجا القاضى ونقده بقصيدة لاذعة مريرة رددها كل لسان وسارت بذكرها الركبان ، وأبياتها إذا أغضينا النظر عن القاضى عبد البر — تصور إلى حد ما مفاسد القضاة تصورا صادقا . قال منها :

فشا الزور في مصر وفي جنباتها   ولم لا وعبد البر قاضى قضاتها
أينكر في الأحكام زور وباطل   وأحكامه فيها بمختلفاتها
إذا جاءه الدينار من وجه رشوة
ومنها :   يرى أنه حل على شبهاتها
ألست ترى الأوقاف كيف تبدلت
وكانت على تقديرها وثباتها
وقد وثبت فيها قضاياه بالأذى   وبالبيع مثل الأسد في وثباتها

وبعد فهذه فضالة مما وعاه الرأس وثمالة من رحيق الكأس ، تنبئان عنهما كما ينبئ الشعاع عن الشمس .

محمود رزق سليم
مدرس بكلية اللغة العربية

معـــــروف الأرناؤوط

صاحب جريدة « فتى العرب » وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق

للأستاذ برهان الدين الداغستاني

توفى الأستاذ الكبير السيد معروف الأرناؤوط ، أحد كبار رجال الصحافة والعلم والأدب فى دمشق ، وانتقل إلى دار الخلود بعد أن أبلى كثيراً فى سبيل رفع شأن أمته ورقى بلاده ، وجاهد طويلا بقلمه ولسانه فى جريدته « فتى العرب » التى كان يبذل فى سبيلها من ذات نفسه وماله الشيء الكثير . كما كان عضواً بارزاً ذا أثر بالغ فى المجمع العلمى العربى بدمشق .

توفى — رحمه الله — والصحافة المصرية فى شبه حمى مما تذيعه وتنشره صباح مساء من تفاصيل دقيقة مما أحاط باغتيال «غاندى» وما إلى اغتياله من أساليب إحراقه وتأريث النار تحت جثته ! ...

نعم كانت الصحافة هنا فى شغل شاغل بنشر هذه التفصيلات الدقيقة لما توفى إلى رحمة الله ذلك الصحفى العربى ، والكاتب الأديب الأستاذ معروف الأرناؤوط ، فلم يتنبه لموته أحد ، ومر نعيه هادئاً هنا من غير جلبة ولا ضوضاء ، حتى أن الكثير من أصدقائه وخلصائه فى مصر — وهم بحمد الله كثر — لم يعلم بموته ولم يقرأ خبر نعيه المنشور فى « أهرام » يوم الأحد أول فبراير سنة ١٩٤٨

كان الأستاذ معروف الأرناؤوط حركة دائبة ، كثير الطواف والتجوال ، فقد زار كل بقعة من البلاد العربية ، وقابل كل ملوكها وأمرائها وقادة الرأى فيها ، وكتب الكثير عن هذه البلاد وأهل هذه البلاد ، وكان يناصر بقلمه كل حركة تقوم فى أى بلد من بلاد العروبة والإسلام للدعوة إلى الحرية ونيل الاستقلال .

كان — رحمه الله — خفيف الظل ، عذب الروح ، سريع البديهة حاضر النكتة ، برماً بما تعارفه الناس فى مجتمعاتهم من قيود ورسوم وتكاليف ، كثير المرح ، يشيع فى مجلسه الحركة ورفع الكلفة ، يشعر جليسه لأول مرة أنه صديقه من أمد بعيد ، وأنه يعرفه معرفة وثيقة ! .

كنت أسمع باسم معروف الأرناؤوط ، وأقرأ له كثيراً ، ولكن لم أكن رأيته ، فلما كنت فى دمشق صيف سنة ١٩٤٣ ذهبت إلى لقائه فى دار « فتى العرب » فوجدته جالساً فى المقهى الصغير المجاور لدار «فتى العرب» ، فى ذلك المنفسح الواسع الجميل بين دار البلدية ودار الحكومة ، وما كدت أسلم وأجلس معه حتى شعرت بأنى مع شخص أعرفه من قديم ! ، وكنت عجلا لقضاء بعض المهام فأنسانى ما ينتظرنى من عمل، وطالت جلستنا ، وتشعب الحديث وذهب كل مذهب ، فكان رحمه الله فى أحاديثه شديد التحمس للعروبة والأمة العربية ، قوى الإيمان بقدرة هذا الشعب على القيام بالدور المقدر له أن يقوم به فى ركب الحضارة .

وبعد أن أخذ على العهد أن أزوره فى فترة أخرى ، ودعته وفارقته ، ولكن لم تسنح لى فرصة زيارته مرة ثانية ، فكانت تلك الزيارة هى الأولى والأخيرة .

ولكن تلك الفترة التى قضيتها مع الأستاذ معروف الأرناؤوط فى ذلك المقهى الصغير المتواضع تركت فى نفسى أثراً لا ينمحى عن خلق الفقيد وكرم نفسه ، وحلاوة حديثه وخفة روحه ، فكنت أذكره كثيراً ، وأتمنى لو تتاح لى فرصة لقائه مرة أخرى ، حتى قرأت فى « أهرام » يوم الأحد أول فبراير سنة ١٩٤٨ نعيه ، فحزنت عليه ، وبكته نفسى . رحمه الله رحمة واسعة .

الأستاذ معروف الأرناؤوط ثالث أديب كبير ترزأ به البلاد العربية وتفقده الصحافة العربية ، والأدب العربى والقارىء العربى فى أقل من شهر ، ففى مطلع الفجر من يوم الثلاثاء الثالث عشر من يناير سنة ١٩٤٨ فجعت الصحافة العربية بعميدها طيب الذكر أنطون الجميل باشا ، فبكته أحر بكاء ، وقبل أن يجف الدمع عليه أو يلتئم جرح القلوب على فقده ، فجعت بأديب العربية غير مدافع الأستاذ الكبير محمد إسعاف النشاشيبى ، فقد ذهب إلى لقاء ربه فى مطلع الفجر من يوم الخميس الثانى والعشرين من يناير سنة ١٩٤٨ ، فحرك بموته كوامن الأسى وجدد الحزن والألم ، فبكته الصحافة العربية أحر بكاء ! .

وفى الساعات الأخيرة من ليلة الجمعة الموافق ثلاثين يناير سنة ١٩٤٨ لفظ الأستاذ معروف الأرناؤوط أنفاسه الأخيرة ، وسكنت تلك الحركة الدائبة أثر سكتة قلبية ، فقضى ثلاثتهم فى غضون ثمانية عشر يوماً . فى حالات متشابهة أصح مايكونون أجساماً أثر سكتة قلبية أحسن الله عزاء البلاد العربية عن فقدهم ، وعوضها خيراً !

برهان الدين الداغستاني

سابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٧٢٦)

٦ — في الوجود وعلله

للأستـاذ كمال الدسوقي

. سينا والإشارات :

تجدون الترجمة الكاملة لحياة ابن سينا وكتاباته ، وأسفاره .به وأشماره ؛ كما دونها ورواها تلميذه أبو عبيد الجوزجاني ؛ اريخ الحكماء لابن أبي أصيبعة (جزء ٢ ص ١ — ١٦) يوجد في مكتبات مدارسكم وأقاليمكم ، وفي مقدمة كتاب ، المشرقيين — الذي قالوا إنه القسم المنطق من كتاب شفاء » لابن سينا ، والذي نشر في مصر غير مرة : تجدون كله في هذين المرجعين وفي غيرهما بما لا تحتاجون معه إلى من الإيضاح .

ومنه يتبين لكم أن ابن سينا (٣٧٣ — ٤٢٧ هـ) لم يبلغ سة عشرة حتى كان قد ألم بالكتب الأولية في الحكمة رياضية بية ومنطقية ، أما ما بعد الطبيعة ، فقد هداه إلى فهم ما استغلق ـالبم أرسطو فيها كتاب أبي نصر الفارابي ، كما فقهه إسماعيل . » من قبل في مسائل الفقه والخلاف ، وأبو عبد الله الناتلي ـف في الحساب والهندسة وعلم الهيئة (الفلك) ورياضيات س ؛ وأنه منذ ذلك الحين قد دأب على المطالعة والدرس حتى ـه في هذه السن أن يلحق بخدمة الأمير نوح بن منصور ى فيمن لحق من الأطباء المعالجين ؛ وأنه انفرد من بينهم قوف على مكتبة الأمير والإحاطة بما فيها ، حتى اتهم بحرقها .بعلم ما حوت ؛ وأنه قد حصل حينئذ كل ما صار له من علم ـة ، فلم يزد على علمه فيما بعد ذلك شيء — كما قال هو ؛ وأنه ، بعدئذ يقرأ كتاباً على الولاء ، بل يقصد المواضع الصعبة ـل المشكلة ليتبين ما قاله صاحب الكتاب فيها — على نحو تنا الجوزجاني المذكور .

أتم الشيخ الرئيس مرحلة الدرس وهو ابن ثماني عشرة وبدأ يكتب ويصنف ، وكانت تصانيفه في ذلك الحين على ـة الأرسطية ، تأخذ معظم مادتها من هذه الفلسفة اليونانية ولا بالمنطق الآلة التي تعصم الذهن من الخطأ في التصور والتصديق والاعتقاد الصحيح ، ومثنية بعد بالطبيعيات وما يتعلق بها من رياضيات وحساب وهيئة وموسيقى ، ومختتمة في النهاية بما بعد الطبيعة أو العلم الإلهي كما سماه الإسلاميون ملحقين به الحديث عن النبوة والمعاد والخلاص من الدنيا ، تجد هذه الفلسفة الأرسطية في معظمها في أهم كتب ابن سينا الأولى « كالمجموع » « الشفاء » ومختصره « النجاة » وفي رسالته في النفس التي كتبها إلى الأمير نوح بن منصور والتي تشبه أن تكون تعريباً لكتاب أرسطو « في النفس » .

أما الكتاب الذي بين أيديكم فهو من نوع مخالف لنوع هذه الكتب : وهو يمثل الفلسفة المشرقية في تمام نضجها عند ابن سينا وغيره ، تلك الفلسفة التي لا تأخذ عن أرسطو إلا بمقدار ما تأخذ عن أفلاطون وأفلوطين والمتكلمين والصوفية من الإسلاميين والفرس ، مكونة من هذه في جملتها مذهبا خاصاً ، وروحاً جديدة ، فيها طرافة وفيها عمق وامتاع هي بعض ما يتميز به كتاب « الإشارات والتنبيهات » لأبي علي الحسين ابن عبد الله بن سينا .

ولعل الظروف التي أحاطت بتأليف هذا الكتاب قد هيأت له أن يكون على هذه الصورة من العمق والجلال : فهو لم يكتبه استجابة لطلب أصحابه أو أميره كما ترى في سائر كتبه إنما كتبه وهو سجين بقلعة « فردجان » حين اتهم بأنه يكاتب سراً علاء الدولة أمير أصفهان . ويصف هو محنة السجن هذه التي كتب أثناءها هذا الكتاب بقوله في آخر صفحة من إشاراته : رقمت معظمها في حال صعب لا يمكن أصعب منها حال ، ورسمت أغلبها في مدة كدورة بال ، بل في أزمنة يكون كل منها ظرفاً لغصة وعذاب أليم ... ما مضى وقت ليس عيني فيه مقطراً . ولا بالي مكدراً ... الخ ص ١٤٥ ح ٢) كما أن سجنه عند الإسماعيلية (الباطنية) هؤلاء قد جعله يذهب مذهبهم في التستر والإخفاء ، والضن بكتابه ذاك على من لم يؤت الفطنة أو الدربة ، أو كان من الجاهلين المبتذلين ، والملاحدة المكابرين ؛ وفي التوصية بالحرص على تخير من يهدى إليهم هذا الكتاب واختبارهم ، صوناً لهذا العلم من الضياع — كما نبه على ذلك في آخر الكتاب (ص ١٤٣ — ١٤٤ ح ٢) وكرر ذلك التنبيه في أوله (ص ٢ ح ١) بشروط واختبارات خاصة ، نرجوا أن تتوافر كلها للطلاب السابقة حتى يتهيأ لهم أن يقفوا على حقيقة هذا الكتاب .

وكما يتضح من أول كلمة للشيخ أبى على فى كتابه : الإشارات إنما تشير إلى الأصول — والتنبيهات تنبه على الجمل ، هذه تتعلق بالمبادىء العامة ، وتلك بالقضايا الخاصة ، والذى تشير له هذه أو تنبه عليه تلك ؛ مسائل من العلم الطبيعى والإلهى مختلطة ، يتدرك فيها ابن سينا من المحسوس إلى المعقول ، ومن المادة إلى الصورة ، ولذا نجده قد قسم أبواب هذا الكتاب إلى أنماط — على عكس المنطق الذى تنقسم أبوابه عنده إلى أنهاج — لأن النمط ضرب من البسط والتمهيد يقصد لذاته — بينما النهج ممهد لكل سالك إلى غاية معينة بما يحقق الغرض من المنطق كلم لمناهج العقل — وكم فى النمط الواحد من « إشارة » إلى أصل من الأصول ، « وتنبيه » على جملة من الجمل ، أو « وهم » من الأوهام ، « وتذنيب » أو خاتمة وتتيجة لكل ذلك .

والكتاب الأول من الإشارات فى خمسة أنماط . يهمنا منها الرابع « فى الوجود وعلله » (ص ١٨٩ — ٢١٤) الوجود المطلق الذى لا علة له على الإطلاق ، أى الوجود فى ذاته من حيث هو وجود ؛ والوجود الآخر الذى هو محمول على أشياء مختلفة — هى معلولة له ، والوجود عارض فيها وليس من ماهيتها ، ومباحث هذا النمط — كما لخصها الرازى — ثمانية : (١) الرد على من لا يؤمن بوجود إلا المحسوس ، (٢) العلل بوجه عام (٣) إثبات واجب الوجود (٤) ووحدته (٥) وتجرده عن الكثرة والنوع والجنس والعقل والحس ، (٦) ومن الضد والشبيه ، (٧) هو عاقل ومعقول (٨) تلك خير الطرق لإثباته .

والنشرة المتداولة لهذا الكتاب ، هى تلك المطبوعة فى المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٢٥ هـ ، المشتملة على شرحى العلامة فخر الدين الرازى (فى الهامش الخارجى) والخاجه نصير الدين الطوسى (هكذا تنطق فى الفارسية بمعنى الأستاذ) — وكلاهما عالم محقق قام على شرح الإشارات مع فارق بينهما غير كبير — لا يعنيكم أمره — وحسبكم أن تتخيروا لأنفسكم أى الشرحين على هذا النص (المذكور فى كليهما بين أقواس) — فإذا تعذر عليكم تفهم الواحد فليكمل بشرح الآخر .

٢ — العلل الأربع :

وابن سينا — قبل أن يشرع فى تفصيل علل الوجود — ينبه على ما قد يتبادر لأذهان العامة من أن كل موجود فهو محسوس ، وأن كل ما لا وضع له فى المكان وفى الجهة وفى سائر أحوال الجسم المحسوس فلا نصيب له من الوجود — وهو رأى الشبهة ومن لفّ لفهم — فإننا حين نتأمل هذه المحسوسات الجزئية نجدها تشترك فى معنى كلى مجرد — كالإنسان الذى أفراده زيد وعمرو من الناس — الواحد منها محسوس ، له وضع ومقدار وأين وكيف ، ومن هذا المحسوس يأتى معنى الإنسان المجرد من الكم والكيف والأين والوضع الذى هو الإنسان الحقيق — والمعنى الكلى للانسان من حيث هو حيوان ناطق .

فإن قيل إن هذا الإنسان بالمعنى الكلى الثانى موجود فى العقل لا فى الخارج ، ونحن نقصد الوجود الخارجى لا الذهنى ؛ قلنا إن معنى الإنسانية لا يوجد فى الذهن إلا مقترناً بالإنسان الواقعى المحسوس المشترك فى التصور العقلى المجرد لكلمة إنسان . وسقط بذلك الاعتراض .

وإن قيل إن للانسان هنا كفرد تصوراً ذهنياً كلياً من حيث هو يتركب من أعضاء كثيرة مختلفة يشتمل عليها مفهوم كلمة « إنسان » بالمعنى الفردى ، قلنا إنه يسهل دفع هذا الاعتراض بتصور نفس الحال فى كل عضو من أعضاء الإنسان أى أن يكون لكل منها وجوده فى الذهن كلياً مجرداً فضلا عن وجوده فى الواقع والحقيقة .

وحجة أخرى تلزم أولئك الذين لا يعترفون بوجود إلا للحسى من الأشياء ، والموهوم من الموجودات ، هى أنه عن المحسوسات يأتى الحس ، وعن الموهوم ينشأ الوهم ، وهى ليست أموراً جسمية ، فإن أنكروها وجب أن ينكروا ما يتعلق بها والعقل الذى يحكم عليها ويميز بينها ، دون أن يكون محسوساً ولا موهوماً هو الآخر . وقل مثل ذلك فى طبائع الأمور المدركة بالوهم كالعشق والخجل ، والشجاعة والجبن — التى ليست تدرك بالحس ، وإن تعلقت بالمحسوس والموهوم من الأشياء . والنتيجة التى يخلص منها الشيخ الرئيس بعد إدحاض هذه الأوهام ودفع ما يعترض به عليها — أن كل موجود فان له ماهية مجردة عن كل مشخصاته الحسية — هى التى يتحقق بها وجوده ، وإن لم تكن محسوسة ولا موهومة .

ذلك أن الشىء إنما يتحقق وجوده بإحدى اثنتين : إما بماهيته وحقيقته كالمثلث من حيث هو سطح وأضلاع تحيط به وتحدده — أى من حيث مادة المثلث والصورة الناشئة له من مجموع هذه المادة أى المثلث بالقوة En Puissance والمثلث بالفعل En Acte وإما بوجود ذاته من حيث موجده أو المؤثر

الأدب والفن في أسبوع

وء القومية في البلاد العربية :

ألقى الأستاذ ساطع الحصري يوم السبت المحاضرة الخامسة سلسلة محاضراته بالجمعية الجغرافية الملكية ، فتحدث عن سوء الفكرة القومية في البلاد العربية حتى الحرب العالمية ى » .

قال الأستاذ إن البلاد العربية كانت خاضعة للدولة العثمانية رها دولة إسلامية ، وكانت تنظر إليها على أنها حلقة في سلسلة خ الإسلامى ، وقد سيطرت الدولة على هذه البلاد بتغلبها على د والحكام ، ولم تقاومها الشعوب ، باستثناء اليمن لاعتناقها دية» التي ترى أن يكون الخليفة من آل البيت ومن نسل زيد .

دوثه ، وما لأجله وجد — أي من حيث فاعله ، ومن غاية وجوده ، وعلل الوجود الأربعة هي إذن قسمان : علتا ة ، وعلتا الوجود ، الأوليان منها هما : العلة المادية Cause Matér والعلة الصورية Cause Formelle وعلتا الوجود لة الفاعلة أوعلة الفاعلية Camse Éfficieur والعلة الثانية Cause Fi — الأوليان جزء من الشيء لأنهما الشيء : (المادة) والشيء بالفعل (الصورة) . والأخيرتين ليستا منه ـ بل هما فاعله (أو موضوعه بالقوة) ، وغايته (أي بالفعل) ، ولذا كانت العلتان الأولى والثالثة سالبتين ية والرابعة موجبتين .

والفرق بين علل الماهية وعلل الوجود يتبين في الفرق بين الشيء في ذاته ووجوده في الأعيان ؛ الأولى تلزم الشيء ي ذاته في الخارج وفي العقل ، ومقومات هذه العلل هي والنوع والفصل … مما يدخل في باب المنطق ، أما الأخرى إليها الشيء في كونه موجوداً كالفاعل والغاية . وابن سينا س هذا الفصل لدراسة هذه الأخيرة ، بعد إذ فرغ من في المنطق . مما سنتابعه فيه في المقال التالي .

كمال دسوقي

وكان المسلمون ينضوون تحت لواء الدولة متجهين إليها سياسيا ودينيا ، على خلاف المسيحيين العرب الذين كانت لهم هيئات دينية منفصلة عن الدولة ، وكانوا يجدون الفكرة العربية منفصلة عن الدين ؛ وكان هؤلاء المسيحيون ثلاث طوائف : الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت ، وكان يلي المناصب الدينية بالكنائس الأرثوذكسية الشرقية رجال الدين من اليونان ، وكانوا يفرضون اللغة اليونانية في الصلاة وغيرها من شعائر الدين ؛ وكذلك كان الرومان واللغة اللاتينية في الكنائس الكاثوليكية الشرقية ، وتحدث الأستاذ عن جهود العرب المسيحيين في مقاومة اليونانية واللاتينية في البيئات الدينية حتى استبدلوا بهما اللغة العربية ؛ أما البروتستانت فكانوا من الأمريكيين الذين تعلموا اللغة وعملوا على نشر مذهبهم في البلاد العربية بلغتها ، وأنشأت الطوائف الثلاث مدارس كانت تهتم باللغة العربية وتلم بها ، على حين كانت مدارس الحكومة تلم بالتركية ولا تلقى العربية من عنايتها إلا قليلا .

وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين نشأت تيارات فكرية مختلفة ، فالمسيحيون وبعض المستنيرين من المسلمين كانوا يدعون إلى انفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية وكان فريق كبير من المسلمين يعمل على جعل الخلافة عربية ، ودعا فريق آخر إلى الإصلاح والاشتراك مع العثمانيين في إدارة دفة الأمور . ثم أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ ، فشاركت الأمم العربية الأتراك في السرور بانتهاء حكم الاستبداد ، واتجه شعور الجميع نحو التكتل ونسيان الخلافات ؛ ولكن ذلك لم يدم طويلا لأنه كان من نتيجة الحرية بعد إعلان الدستور أن امتدت الأقلام إلى تناول بعض الشخصيات التي كانت مشتركة في الحكم الاستبدادي فكان هذا إلى عوامل أخرى بينها الأستاذ سببا في الانقسام بين العرب والأتراك ، واستمر هذا النزاع إلى أن عقد مؤتمر العرب بباريس وكان من مطالبه جعل التعليم باللغة العربية وإشراك العرب في مناصب الحكم ، وحدث في أثناء انعقاد هذا المؤتمر أن اتصل به رسل تركية ، وأمكن الوصول إلى اتفاق تحققت به بعض المطالب العربية وفي جلتها جعل التعليم في بعض المدارس باللغة العربية . على أن هذا الاتفاق لم يقض على المنازعات نهائيا ، بل ظلت قائمة حتى نشبت الحرب العالمية الأولى .

وكان الأستاذ قد ذكر السامعين فى بدء المحاضرة بما دل عليه تتبع نشوء القوميات فى البلاد الأوربية من أن القومية كانت حين روحه اللغة ووعيه التأريخ ؛ ويبدو أن الخيط الذى يربط هذه المحاضرة بتلك النظرية هو جهود المسيحيين العرب فى مقاومة طغيان اللغات الأجنبية وتمسكهم بالعربية ، ثم اهتمام العرب جميعاً باللغة العربية فى حركاتهم ومطالبهم السياسية . والمتوقع أن الفكرة ستكون أكثر وضوحا أو ستصل إلى نتيجتها فى المحاضرة القادمة وهى « نشوء الفكرة القومية فى البلاد العربية منذ الحرب العالمية الأولى حتى تكون جامعة الدول العربية » .

عبث أدبى فنى :

الملك بين يديك فى إقبـاله … عوذت ملكك بالنبى وآله
حر ، وأنت الحر فى تاريخـه … سمح ، وأنت السمح فى إقباله
يفديك نصرانيـــه بصليبه … والمنتمى لمحـــمد بهـــلاله
يجدون دولتك التى سعدوا بها … من رحمة المولى ومن أفضاله
يا جنة الوادى ونزهة روحه … ونعـــيم مهجته وراحة باله
فاروق جملها وزان بسـاطها … عرش يلوذ الشعب تحت ظلاله
وكأن عيدك عيدها لـما مشى … فيها البشير ببشره وجمـــاله

هذه هى الأغنية التى غنتهـا أم كلثوم ثلاث مرات فى يوم عيد ميلاد جلالة الفاروق . وقدمها المذيع بقوله : « عيد الدهر ، من شعر أحمد شوقى بك وغناء أم كلثوم » ولا شك أن المستمعين دهشوا ... فما عيد الدهر ؟ وما خطب شوقى ؟ وما غناء ذلك فى الميلاد الملـكى ؟ .

أنشأ شوقى قصيدة « عيد الدهر » منذ قرابة أربعين عاماً ، مدح بها الخليفة العثمانى محمد رشاد الخامس ، وأشاد فيها بمدينة الآستانة . وقد أخذت من هذه القصيدة الأبيات السابقة التى غنتها أم كلثوم ، وليست كل هذه الأبيات من تلك القصيدة ، ففيها بيت وربع بيت من نظم غير شوقى ، وبيان هذا كما يلى : أخذ من القصيدة أربعة أبيات بنصها ، ثم قصد إلى بيت فى القصيدة يعبر فيه الشاعر عن ولوعه بالآستانة ، وهو :

فى كل عام أنت نزهة روحه … ونعـــيم مهجته وراحة باله

فحذف قوله : « فى كل عام أنت » ووضع مكانه : « يا جنة الوادى و» وجىء بعد هذه « العملية » ببيت « من الخارج » ثم ختمت الأغنية ببيت من أصل القصيدة وهو : « وكأن عيدك الخ » .

ولا شك أنك — وقد علمت كيف تم « إخراج » هذه الأغنية — قد تحولت دهشتك إلى العجب من هذا الصنيع والسؤال عن الحكمة فى هذا التحوير والتبديل ! أليس هناك غير شعر شوقى ؟ لقد فاضت قرائح الشعراء ليلة ميلاد الملك ، وما زالت القرائح تفيض مستمدة من معين حبه ، أفما كان يغنى بعض شعرهم عن هذا الموقف المخجل أمام التاريخ !

وبعد فنحن أمام طريقة جديدة أصدق ما توصف به أنها عبث أدبى فنى . وما كان يليق أن يقع ذلك فى هذه المناسبة السامية .

الخطابة فى مهرجان الشباب :

دعت الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف يوم الثلاثاء لفيفاً من الصحفيين والأدباء إلى حفل أقامته بإدارة خدمة الشباب لاختبار المتقدمين إلى مباراة الخطابة ، وهى إحدى مباريات المهرجان الأدبى والفنى الذى تنظمه الإدارة لمناسبة عيد الميلاد الملكى .

انعقدت لجنة التحكيم ، وهى مكونة من الأستاذ العقاد والأستاذ توفيق دياب والأستاذ توفيق الحكيم والدكتور إبراهيم ناجى والدكتور محمد صلاح الدين ، وقبل أن تبدأ فى الاختبار وقف الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك المدير العام للثقافة بوزارة المعارف ، وألقى كلمة تحدث فيها عن قلق الشباب وحيرته وعما يدل عليه هذا القلق من الحيوية والاستعداد ، ووجوب استغلاله فى التوجيه والإرشاد . وقال إننا نريد بهذا المهرجان وغيره أن نكشف مواهب الشباب لنشجعها وننميها ، وأشار إلى ما تعتزمه الإدارة من إنشاء نواد صيفية للشباب تتوافر فيها الوسائل المختلفة لتنمية المواهب الأدبية والفنية وغير ذلك مما يستغل فيه وقت الفراغ استغلالا نافعاً .

وتكلم الأستاذ توفيق دياب فقال إنه يلاحظ أن الحياة الثقافية عندنا تنقصها الروح والتشبع بالفكرة ، وأننا نماثل الأمم الكبيرة فى ضخامة الأبنية وفخامة المظاهر فقط دون أن يكون لدينا شعور قوى برسالة نؤديها ، رسالة حاضرة يؤديها الأستاذ ، ورسالة المستقبل يستعد لها الطالب .

وقال الدكتور إبراهيم ناجى إنه وصل من دراسته النفسية لشبابنا أنهم مصابون بمرضين نفسيين : الأول تصيد الأمور وعدم فهم حقائق الأشياء ، فكثيرون منهم يتصدون لقرض الشعر وكتابة القصة مثلا ، دون أن يعرفوا ما هو الشعر ، ودون أن

يقفوا على دقائق فن القصة. والمرض الثانى هو عدم وجود الأهداف أو تعددها ، فإما أن لا يكون لهم هدف ، أو يريد الواحد منهم أن يكون كل شيء .

ثم شرعت اللجنة فى عملها ، فأبلغت المتبارين موضوع الخطابة وهو هذا البيت :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

ووزعت الدرجات على النواحى الثلاث التى يقدر فيها الخطيب وهى التفكير والأداء والتأثير . ثم تعاقب الخطباء من الشباب وكان الزمن المعين لكل منهم عشر دقائق . وكانوا خمسة عشر شابا ، بينهم فتاة واحدة ، هى الآنسة عزيزة توفيق (وأخصها بالتسمية لأن الرجل لم ينل بعد المساواة بالمرأة !) ولا أريد أن أتعرض للحكم عليها أو على غيرها من المتبارين ، فالأمر للمحكمين وحدهم ، أو هو — كما يقول زملاؤنا الصحفيون — بين يدى القضاء ... ولكن لا أرى بأساً فى بعض الملاحظات العامة

١ — المفروض أن الخطيب إنما يخطب جمهوراً فى أمر يهمهم أو قضية تشغل بالهم ، فيعالج المسألة معالجة خطابية ، ليؤثر فيهم ويوجههم إلى ما يريد ، وطبعاً لا يكون ذلك حقيقة فى المباراة بل يتمثله فيها الخطيب ، فهل يقع فى الحياة أن جمهوراً يشغل باله موضوع حكمة عامة وينهيأ لأن يخطبه أحد فيها ؟ .

٢ — لذلك لاحظت أن أكثر الخطباء اتخذ القضية العربية والقضية المصرية موضوعاً لتطبيق هذه الحكمة وقصر كلامه عليها ، على ما فى ذلك من بعد عما تصدق عليه وهو الأفراد ، أما الأمم فكثير منها يهون ولكن لا يسهل الهوان عليه ، لأنه يتحفز ويتحين الفرصة لنيل حريته .

٣ — انتهز أحد الخطباء الفرصة ووجه الكلام إلى المحكمين باعتبارهم من قادة الفكر ، وقال لهم : دعونا من هذه المسابقة ، ماذا فعلتم لعزة البلاد ودفع الهوان عنها ؟ وهكذا قلب الوضع فأراد أن يمتحن الممتحنين .. ولكنها فورة الشباب ..

هذا وسيختار من هؤلاء المتبارين فى الخطابة أربعة يمنحون جوائز ، ويلقى الفائز الأول خطبة فى المهرجان العام الذى سيقام فى يوم ٢٧ فبراير الحالى .

رقاعة فرنسية :

بعث إلى « المصرى » مراسلها من باريس ، بحديث جرى بينه وبين وزير الشؤون الإسلامية فى الوزارة الفرنسية الجديدة ؛ وقد تناول هذا الحديث موضوعاً اتجهت إليه أخيراً الإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، وهو أن يشمل التعاون الثقافى العربى البلاد المغربية . سأل المراسل الوزير الفرنسى : هل للجامعة العربية أن تحصل على موافقة فرنسا إذا عرضت عليها إرسال مندوبين فرنسيين وجزائريين ومراكشيين إلى القاهرة لتمثيل هذه البلاد فى اللجنة الثقافية للجامعة العربية كما وافق فرانكو على إرسال مندوب عن مراكش الإسبانية فى هذه اللجنة ؟ فقال الوزير الفرنسى فى إجابته : « أحب أن أقول لك إنه إذا ثبت قطعاً أن هذه اللجنة تعمل فى نطاق ثقافى وروحى فقط فليس مستحيلا أن تنفذ وزارة الشئون الإسلامية اقتراحك هذا » .

ومن المحقق أنه لن يثبت قطعاً ولا من غير قطع أن لجنة الثقافة بالجامعة العربية تعمل فى النطاق الثقافى الروحى الذى تريده فرنسا ! كما أنه من المحقق أن الشعوب المغلوبة على أمرها لا يمكن أن تفصل بين الثقافة والسياسة إلا على أيدى الماثلين لغالبيها ، والثقافة التى لا تبعث شعور الحرية وتغذيه إنما هى ثقافة العبيد .

وإذن فلن توافق فرنسا على إرسال مندوبين يمثلون البلاد المنكوبة بها فى تنظيم التعاون الثقافى العربى . وإذا فرض أنه ثبت قطعاً .. الخ ، فماذا تفعل فرنسا ؟ تقول : ليس مستحيلا أن تنفذ الاقتراح !

ومن الغريب مع هذا أن ينوه ذلك الوزير فى حديثه بالعلاقات الثقافية بين فرنسا ومصر ، فيشير بتبادل المحاضرين بين البلدين ... إلى آخر هذا الكلام المعروف المحلول .

ومعنى كل ذلك أن فرنسا تريد أن توطد علاقاتها الثقافية بمصر التى تجمعها بالمغرب فكرة الوطن العربى الأكبر ، وتعمل فى الوقت نفسه على توطيد استعمارها للمغرب بقطع صلته بالثقافة الطليقة فى المشرق ، ولهذا أنشأت « وزارة الشؤون الإسلامية » التى تقابل عند الإنجليز « وزارة المستعمرات البريطانية » مع فرق واحد هو انعدام الحياء فى التسمية الفرنسية !

وبعد فانظر إلى تسمية هذه الوزارة ، وأضف إليها ما انطوت عليه إجابة وزيرها ، وخذ أيضاً تقطيع العلاقة الثقافية بين بلاد متحدة فى الثقافة والدعوة أو الدعاية لتوطيدها مع جزء من هذه البلاد — ثم انظر ماذا نصنع بكلمة « الرقاعة » إن لم نضعها هنا .

العباسى

سلالة يعرب (*)

للأستاذ محمود غنيم

نسب أدِل به على الأقمار … أنا من سلالة يعرب ونزار
وأولئك الشم الأباة أخوتى … والمكرمات شعارهم وشعارى
يا دار إسماعيل كيف وسعتهم … أثرى أسود أم سماء درارى ؟
أم أنت فى وادى الكنانة دوحة … أخرى تشاهد بيمة الأنصار ؟
حى الوفود تحية ممزوجة … بعبير غالية ونفح عُمار
واخشع إذا حدثت عن أسلافهم … أوزرت ما تركوا من الآثار
كانوا إذا رفعوا قواعد دولة … وضعوا العلوم مواضع الأحجار
حاطوا ممالكهم بعدل ملوكهم … كحياطة البستان بالأسوار
لم تكف هارون البسيطة كلها … حتى تحدى دولة الأمطار
كانوا وكان على البرية حكمهم … يمضى فصاروا قصة السمار
كانوا إذا نشروا السلام على الورى … رسلا وإن خاضوا الحروب ضوارى
من جندل الفلوات قدوا عزمهم … أو سيلهن الجارف التيار
ومن الحيا المدرار صيغ سخاؤهم … فسخاؤهم صنو الحيا المدرار
وتنفسوا ريح البوادى حرة … إن البوادى معدن الأحرار
المجد فى الصحراء ينبت والعلا … بدل المروج الخضر والأشجار
إن كان للبارى شعوب خصها … برعاية فالعرب شعب البارى
أو قيل : إن العالمين عناصر … فهموهمو حسبا وطيب نجار
خلق البرايا من تراب خالص … والعرب شيب ترابهم بنضار

***

قد وحدت أمم العروبة جمعها … توحيدها للبارىء القهار
حِلف برىء القصد ما أوحى به … نزق الهوى أو حب الاستعمار
والحلف ما أوحت به الشهوات إن … هو قام قام على شفير هار
قل للعروبة : أنت دين آخر … دين المساجد أنت والأديار
لا تسأل العربى عن وطن فقد … محت الدماء فواصل الأقطار
بالضاد نحن وبالدماء قبيلة … وبوحدة الأهداف والأفكار
عدنان جدى والعروبة كلها … لى عترة والشرق أجمع دارى

***

قل للكماة الذائدين عن الحمى … والمرخصين غوالى الأعمار
من كل ذى أنف حمى بالردى … يرضى ولا يرضى هوان الجار
قد أرهف التاريخ غرب يراعه … ماذا يخط يراعه للقارى ؟
الكون أنصت والأثير بمرصد … بدل الحمام يطير بالأخبار
نادت فلسطين الشهيدة فاستجب … يا سيف واخطب بلسان النار
لا ترشقوهم بالزهور تحية … أهل القبور أحق بالأزهار
بل فارشقوا الأبطال فى ساح الوغى … بذخيرة أو عسكر جرار
من كل أروع فوق ظهر جواده … ينقضُّ إعصارا على إعصار
حرب أثار الجائرون غبارها … ما كان لولا جورهم بمثار
هم أوقدوها فاجعلوهم فحمها … فى يوم نحس شمسه من قار
يوم كيوم الروم فى « اليرموك » أو … يوم كيوم الفرس فى « ذى قار »
هذا تراث الراشدين وفتحهم … نفديه بالأسماع والأبصار
إن تعبثوا بتراثهم خلفتمو … فى القبر أعظمهم بغير قرار
المسجد الأقصى الذى أسرى إلى … محرابه جبريل بالمختار
والقبلة الأولى لكل مكبر … فى الأرض قبل البيت ذى الأستار
لا تبتنى الدولات حول موائد … كموائد الندمان حول عقار
لا تبتنى الدولات فوق خرائط … جدب الحقول نواضب الأنهار
الحق فى عصر الحضارة يشترى … بالدرهم المضروب والدينار
أقسمت ما ردَّ الظالم حاكم … عدل كحد الصارم البتار
قالوا : الحقوق فقلت هن قوائم … يصطدن من بحر الدماء الجارى

***

فاروق إنك للعروبة موئل … قوت الفقير بها وبرد العارى
إن أدلج الركب المغذ لطية … تنضى المطى فأنت نجم السارى
فاروق واسمك فى العروبة أرغن … أشجى لها من رنة الأوتار
أنت الذى داويت معضل دائها … وأسوت ما جرحت يد الأقدار
خطت يمينك أس وحدتها وما … خطت يمينك ليس بالمنهار

محمود غنيم

(*) ألقيت بدار الأوبرا الملكية فى حفل تكريم الوفود العربية



مبادىء علم النفس العام

للدكتور يوسف مراد

بقلم الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

كنا قد وجهنا إلى الدكتور يوسف مراد منذ عام سؤالا فى مجلة الكتاب ، فحواه هل علم النفس علم أو فلسفة أو بين هذا وذاك ؟ ولم يحر جواباً ، وأبى أن يواجه السؤال ، فقلت لعله يريد أن يفصل المسألة ، ويعد لها العدة ، ويقرأ المراجع ويفيض فى الجواب . حتى أصدر كتابه « مبادىء علم النفس العام » وهو يقع فى أربعمائة صفحة من القطع الكبير ، فحمدنا الله ، وبادرنا إلى قراءته كى نستفيد منه هذا العلم الذى يقوم على تدريسه وشغل كرسى الأستاذية فى كلية الآداب .

وقد استباح الدكتور مراد لنفسه أن يحكم على كتب المؤلفين فى علم النفس ، ونصب الموازين التى يصدر بناء عليها حكمه عليها ، فتراه يقول فى التصدير « وهناك نقص آخر يكاد لا يخلو منه كتاب مدرسى فى علم النفس ، وهو عدم الربط بين الوظائف السيكولوجيه والمظاهر السلوكية ربطاً كافياً مطابقاً للوقائع . » وبقول أيضاً « من واجب كل من يشرع فى وضع كتاب فى علم النفس لمعالجة جميع موضوعات العلم ، كما تنص عليها عادة برامج الدراسة الثانوية فى مختلف البلاد ، أن يتوخى الأساليب العلمية التى تمتاز بالأمانة والدقة ، وبضرورة التمييز بين ما هو يقينى وبين ما هو عرضة للاحتمال والشك ، وبين الوضع العلمى لبعض المشاكل كمشكلة الغريزة مثلا ، ووضعها الفلسفى » وفى التصدير إشارات كثيرة من هذا القبيل .

فهو يضع نفسه موضع المعلم لجميع من ألف فى مصر فى علم النفس . ونحن لا نرفض أن نتعلم من الدكتور مراد إذا كان حقاً فى كتابه من الحقائق الموثوق بها ما نأخذ به .

ولسنا نجد جواباً صريحاً عن السؤال الذى وجهناه من قبل ، ولكنه يؤثر أن يعتمد فى علم النفس الجانب التجريبى أما الجانب الذى لم تتناوله التجارب ، فإنه يقول فيه « إنه صورة لا تشمل كافة مسائل علم النفس العام . فهى صورة ناقصة للحياة النفسية » ولا غرو فى ذلك إذ كان المؤلف يقصر حديثه على الحقائق التجريبية الموثوق بها . وهو يشير هنا إلى كتاب وودورث فى علم النفس التجريبى .

ونحن لا نقر وجهة نظر الدكتور مراد وزعمه أن علم النفس لا يكون علماً موثوقاً به إلا إذا كان تجريبياً ، فهناك مسائل كثيرة لا يمكن أن تنالها التجربة من جهة ، وليس من الضرورى أن يكون العلم علماً لأنه تجريبى .

هذا الخطأ فى فهم منهج علم النفس ، جعله يقول فى ص ١٠ « ونحن ندرك هذه الأحداث من الداخل ، مندمجة فى حياتنا النفسية ، بطريقة مباشرة وبوساطة حس باطن يسمى الشعور . ولكن إذا ظلت هذه الأحداث سراً مطوياً بدون أن تكون مصحوبة بتعبير لفظى أو حركى بقيت فى نظر العلم كأنها غير موجودة . ولا تصبح هذه الأحداث الداخلية صالحة للمعالجة العلمية إلا إذا عبر عنها بوساطة حركات خارجية » .

الله أكبر ... كيف تزعم أن الإنسان حين يفكر بينه وبين نفسه ، يكون هذا التفكير « غير موجود » وكيف تستبيح لنفسك أن تنطق باسم العلم فتنكر وجود هذه الأحداث الباطنية .

وكان خليقاً بك ، إذا أردت أن تكون منطقياً مع نفسك أو مذهبك فى إنكار هذه الأحداث الباطنة ، ألا تذكرها بعد ذلك فى كتابك ، ولا تعتمد عليها . ولكنك مضطر إلى الاعتراف بها ، لأن علم النفس لابد أن يقوم على التأمل الباطنى ، وهذا أحد مناهجه ، ولذلك قلت فى ص ١٤ « أما الحالات الشعورية من حيث هى حالاتى أنا ، أختبرها بنفسى وأحياها ، فإحساسى بها إحساس مباشر . وتمتاز الشعوريات ، كما أحس بها وكما أخبرها بنفسى ، بكونها داخلية ومباشرة وتلقائية . . »

ونحن لا نجد هذا الاضطراب فى المنهج الذى يسلكه المؤلف فحسب ، بل فى الموضوع كذلك . وهو أخطر فهو يقول فى ص ١٠ «عن موضوع علم النفس . » وبعبارة أخرى ، موضوع علم النفس هو الإنسان من حيث هو كائن حى يرغب ويحس ويدرك وينفعل ويتذكر ويتعلم ويتخيل ويفكر ويعبر ويريد ويفعل » .

وواضح أن هذا هو التعريف الذى يرتضيه لعلم النفس . فهو يقول فى ص ١١ « يستنتج أيضاً من تعريفنا لموضوع علم النفس أن لهذا العلم صلة وثيقة بعلمين هما علم الحياة وعلم الاجتماع من جهة أخرى » .

ونحن نحاسب الدكتور مراد بمقتضى كلامه ، فهو يقول فى استهلال الكتاب « يتميز كل علم من غيره بموضوعه ومنهجه » .

وقد رأيت أن المنهج الذى وضعه مضطرب ، والموضوع الذى ينص عليه لا يرضى به العلماء ، وقد ناقشه العلماء منذ زمن طويل .

ذكر الأستاذ ألفرد بينيه فى كتابه « النفس والجسم » أن هناك سبعة تعاريف لعلم النفس ، الميتافيزيقى ، والعددى ، والمنهجى ، والتعريف بدرجة اليقين ، وبالمضمون ، وبوجهة النظر ، وبالقوانين العقلية . وآخر هذه التعاريف هو الصحيح .

أما الثانى ، وهو الذي جاء فى كتاب الدكتور مراد ، وهو الموسوم بالعددى « Definition Par Enumeration » أى بتعديد المسائل التى يتناولها موضوع العلم ؛ فيقول فيه الأستاذ بينيه : « إنه يفيد فى التقريب الأولى للأشياء ، وفى تذكير أولئك الذين لا يشكون فى أن علم النفس يدرس أفكارنا . ومهما يكن العدد الحقيقى لهؤلاء الجهال ؛ فإنهم ، فيما أعتقد ، عدد لا يحسب له حساب » .

ويقول فى ص١٢ « ولتحديد العلاقة بين الظاهرة وشروطها يستعان بالطريقة الإحصائية ، ويوصف القانون العلمى بأنه قانون إحصائى » .

ولسنا نفهم لماذا يقصر الدكتور مراد القوانين العلمية على الإحصاء فهناك قوانين ليس من الضرورى أن تقوم على الإحصاء ويكفى أن ينظر العالم إلى بعض الحالات ، دون أن يستقرئ أو يحصى جميعها . مثال ذلك تمدد الحديد بالحرارة ، فإننا لا نحصى كل قطعة من الحديد ، وليس فى مقدورنا ذلك . والمنطق الحديث الذى ينحو نحو الإحصاء لا يقول عن القانون إنه « علاقة » كما قال ، بل اقتران ... وذلك ليتفادى القول بالعلية .

ولسنا ندرى لماذا يقول فى ص ١٣ « فاللغة إذن هى حلقة الاتصال بين علم الاجتماع وعلم النفس » أليس ذلك مما يتنافى مع القواعد التى سنها للباحثين فى التصدير حتى يهديهم سواء السبيل فقال : « فهناك خطر جسيم يهدد الباحث فى هذا العلم وهو التجريد ، وما ينجم عنه من التبسيط المسرف المخل الذى يتحول بسهولة إلى إبهام وغموض »

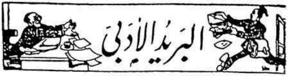
ولسنا نريد أن نتعرض لأسلوب الكتاب ولغته ، فليس الكتاب فى الأدب وليس صاحبه ممن درس العربية أو يحسنها ، غير أننا كنا نحب أن يتجنب مثل هذه اللفظة كالبطانة عند قوله عن الأثروات فى الإنسان « من حيث هى معان لها بطانتها الوجدانية ، وعكس تصورها وإدماجها فى منظومة ذهنية واستخدامها لإنشاء ضروب من الاستجابات الذهنية الصامتة أو اللفظية أو الحركية ، تختلف باختلاف الغرض الذى يسعى إلى تحقيقه » .

وليس هذا الأسلوب عربياً بل أعجمياً ، لا يفهم القارىء منه شيئاً ، أما « بطانة » فهى لغة البزازين لا لغة العلماء التثبتين .

وبعد فقد عرضنا عليك نموذجاً مما جاء فى هذا الكتاب من اضطراب فى التفكير ، وتناقض فى الآراء ، وأخطاء جسيمة فى صميم العلم . ولا تتسع صفحات هذه المجلة لتتعقب المؤلف فى سائر الكتاب ، فهو يجرى على هذا النحو من الاضطراب والزلل .

وما دام الدكتور مراد قد نصب الموازين فى صدر كتابه يحاسب بها الذين ألفوا فى علم النفس ، وقد ذكرنا لك طرفاً من هذه الموازين فى سياق المقال ، فنحن نرجو العلماء أن ينصبوا له نفس هذه الموازين ، ليحكموا على مبلغ علم أستاذ علم النفس بالجامعة ، وهو المسئول عن تثقيف الطلاب .

أحمد فؤاد الأهوانى



إلى الأستاذ علي الطنطاوي :

أعجبت كل الإعجاب بمقالك « حكمة القدر » فهو فلسفة صائبة في تفسير معنى القدر الذي تحير فيه الناس منذ القديم إلى اليوم ؛ فهو تحفة أدبية لولا بقعة سوداء فيه طمست الحق والحقيقة جميعاً ، وهي حكاية الطفلة « الحلوة » التي وقعت من الطبقة السادسة فنزلت إلى الأرض سليمة .

إن مخترع هذه الأكذوبة العظيمة ، ظن أن استمارة حبال الغسيل المتعاقبة في طبقة بعد طبقة لكي تتلقف الطفلة وهي هابطة إلى أن وقعت أخيراً على كومة رمل سليمة — تجوز على كل الناس على السواء .

داري على بناية ذات طبقة سادسة في شارع عريض يكون في كل طبقة منها حبال غسيل فوق الشارع على مرأى من السابلة . وإن كانت فيجب أن تثب الطفلة إليها وثباً أو تقذف إليها قذفاً عمداً لكي تتلقاها الحبال لأن الحبال بعيدة عن الجدار . وإلا فإن وقعت وقوعاً تقع بين الحبال والجدار ولا يعيق هبوطها عائق . حتى لو كانت الحبال شباكاً فلا تضبطها ، وإن ضبطتها الشبكة الأولى فلا تسقط إلى الثانية ؛ وإن اخترقت الأولى إلى الثانية تخترق الشباك الست ، وأخيراً تقع على كومة الرمل عجينة مختلطة .

فهذه الحكاية أكذوبة ، وإن لم تكن أكذوبة ؛ تكن أعجوبة . والأعجوبة والقدر لا يجتمعان .

ولا بدع أن تكون أعجوبة إذا كان مخترعها قد أبطل فعل الجاذبية نصف دقيقة لكي تصل الطفلة إلى الأرض من غير زخم كما وقف يشوع بن نون (في التوراة) الشمس نصف ساعة لكي تنتهي المعركة بانتصار شعب الله المختار .

يا صاحبي في حوادث الزمن ألوف تريك حكمة القدر . فلماذا بنيت مقالك على أكذوبة الطفلة ، ثم تدع الناس السذج يتناقلونها وهم يستشهدون على صدقها بالأستاذ علي الطنطاوي .

نقولا الحداد

أبو سفيان بن الحارث لا أبو سفيان بن حرب :

في كتاب من الكتب القيمة لكاتب من كتاب الشرق الأفذاذ ذوي اليد الطولى على العلم والأدب وقعت رواية أبيات في مناسبة من المناسبات ، ولكنها فسرت على غير ما تعارفناه وتناقلناه في معناها . وعلى غير ما تدل عليه عوامل القصيدة التي قيلت من أجلها الأبيات لحسان بن ثابت يهجو بها أبا سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب . وذلك أنه كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وعبد الله بن الزبعري وعمرو بن العاص ، وكان ينافح عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة من الأنصار : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة

وهي من قصيدة حسان الهمزية التي يمدح فيها قومه ويذكر نصرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويرد على أبي سفيان ابن الحارث ، أحد أولئك الشعراء الهجائين له كما بين ذلك في موضعه من كتب السير وشروح الديوان . ومطلع القصيدة :

عفت ذات الأصابع فالجواء ... إلى عذراء منزلها خلاء

وأما الأبيات فها كها :

ألا أبلغ أبا سفيان عني ... فأنت مجوف نخب هواء
هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

ولعل في قول الشاعر هجوت محمداً وقوله أتهجوه ولست له بكفء ما يوجه إلى ذلك التفسير الذي قلنا به ، فإن الذي قد درج من معنى الهجاء هو ما يكون من نوع الشعر .

ولم يكن أبو سفيان بن حرب ممن عرفوا بنصب أنفسهم لذلك ، وإنما الذي عرف له هذا الوصف هو أبو سفيان بن الحارث وإن كان كل منهما إذ ذاك عدواً شديد العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم .

فإن كان لدى سيدي الكاتب الأديب نبأ أصح مما نعلم فليتفضل وليفدنا فكلنا كارع من حياضه قاطف من أزهاره . وإن يكن ذلك شيئاً سبق به القلم فهو كبوة الجواد . ويحضرني في هذه المناسبة ما وقع للإمام الجاحظ في تفسير كلمة (اللحن) وقد وقعت في أبيات لمالك بن أسماء بن خارجة الفزاري من شعراء الدولة الأموية منها البيتان .

حـديث ألذه وهو ممـا ينعت النـاعتون يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن أحيا نا وخير الحديث ما كان لحنا

يقول الجاحظ إن هذا الشعر لمالك يقوله فى استملاح اللحن فى الـكلام من بعض جواريه وهو من أوهام الجاحظ .

قال على المنجم : قلت للجاحظ : إنى قرأت فى فصل من كتابك المسمى كتاب البيان : إن مما يستحسن من النساء اللحن فى الكلام وأنشدت بيتى مالك بن أسماء . قال هو كذلك . قلت أما سمعت بخبر هند بنت أسماء مع الحجاج حين لحنت فى كلامها فعاب ذلك عليها ، فاحتجت ببيتى أخيها فقال إنما أراد أخوك أن المرأة فطنة فهى تلحن بالـكلام إلى غير المعنى فى الظاهر لتورى عنه ويفهمه من أرادت بالتعريض كما قال الله سبحانه (ولتعرفنهم فى لحن القول) ولم يرد أخوك الخطأ فى الـكلام ، والخطأ لا يستحسن من أحد . فوجم الجاحظ وقال : لو سقط إلى هذا الخبر ما قلت ما تقدم . قال فقلت له : أصلحه ؛ قال : الآن وقد سار الـكتاب فى الآفاق ؟

وفى المسألة بحث بين الأدباء . والظاهر أن المعنى فى شعر الفزارى من قبيل المعنى فى شعر النظامى :

يقتلننا بحـديث ليس يعلمه من يتقين ولا مكنونه باد
فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

وهو الذى ذهب إليه أبو الطيب فى قوله :

وإذا الفتى ألقى الـكلام معرضاً فى مجلس أخذ الـكلام اللذعنى

أما إرادة اللحن الحقيقى فبعيدة جداً لأن اللحن لا يستحسن من أحد كما قال الحجاج ولا سيما فى صدر دولة بنى أمية . ولئن استحسن من المرأة فى بعض مناسبات فإن كلمة الشاعر عامة مطلقة . وخير الحديث ما كان لحناً .

فإن حمل ذلك على التخصيص فى الحديث يجعله مصروفاً إلى حديث المرأة فأقرب به من التكلف من غير مبرر من ذوق سليم .

وبعد فلعلى لا أكون قد جاوزت قدرى بمراجعتى علماً من أعلام الأدب ، فإن الحق ينطق ، والحق ضالة كل حكيم وعليم .

محمود النواوى
مدرس البلاغة والأدب بمعهد القاهرة

النساء ممالكنا :

إى والله ، هكذا يدعى الأستاذ محمود يوسف الأمين بدار الـكتب المصرية فى كتاب له بهذا الإسم أصدره فى هذا الشهر وحشده بصور عارية آثمة ، هى طعنات فى صميم الأخلاق والفضيلة.

ولست أدرى ، والله ، كيف يجرؤ رجل له خلق ودين على أن يحمل هـذا الـكتاب إلى بيته ؛ فيراه أخ له أو ولد ، فتثور فى نفسه أحط الغرائز ، وأخبث النزعات ؛ أو تراه أخته ، أو بنته ، أو زوجته فتتعرض لامتحان اثيم وضيع لا نستطيع تحديد آثاره أو أخطاره .

الواقع أن كثيراً من كتابنا وأدبائنا قد جاروا المرأة المعاصرة فى حريتها وانطلاقها فسوغوا لها الآثام ، وشجعوها على الإجرام وزينوا لها ما أتت من مقابح ومآثم ، على الشواطئ ، وفى الملاهى والمراقص والمواخير والحفلات الماجنة الداعرة . بل حاول بعضهم فى خبث وإجرام أن يلتمسوا لحرية المرأة وانطلاقها على وجهها شواهد من ماضى الإسلام ؛ فحرفوا الـكلم عن مواضعه ، وأخطأوا فى التأويل عن عمد أو عن غير عمد . وقد آن الأوان لكى يتنبه إلى تلك المشكلة أحرار الرجال وقادة الفكر والإصلاح الاجتماعى فى الشرق الإسلامى ؛ فإن حالة المرأة اليوم هى مشكلة المشكلات فى عصرنا الحاضر ؛ لأن المرأة قلب المجتمع ، والقلب كما يقول محمد المعظم عليه الصلاة والتسليم : مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ! ...

ولو أننا عرّفنا المرأة رسالتها فى الوجود ، وقصرناها عليها رغباً أو رهباً ، ومنعناها من الميادين التى لا تصلح لهـا لسعدت النساء ، وسعد الرجال ، وصلح الحال ! ...

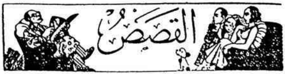
ولـكن ماذا نفعل وقد قيض الله للمرأة الشرقية المسكينة من قرناء السوء ، وشياطين الإنس ، وأبالسة البهتان ، من يغرها ويخدعها ويكذب عليها ويتقرب إليها ؛ لا ليسعدها ، بل ليقضى على البقية الباقية من شرفها وعرضها .

حسبكم عبثاً أيها المؤلفون ، وأنقذوا المرأة من هذا المنحدر ، واذكروا أنكم رجال ! ..

أحمد الشرباصى
المدرس بمعهد القاهرة الثانوى

جاء فى البريد الأدبى من العدد (٧٦٣) تعليق على كلمة فى مقالة « الفتنة الـكبرى » يسأل السائل فيها عن صحة الـكلام فى قولى : (وهذه الخمسة أشياء) وصواب قراءة هذه الجملة : (وهذه الخمسة — أشياء) وقراءتها هكذا تعرب عن إعرابها .

محمود محمد شاكر



نهـــاية حب

للأستاذ زهدي الشواف

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

وبعد هذه المقابلة تغيرت « نانو » علي ، فراحت تبخل بتساماتها الغراء ، وباتت تقتصد بنظراتها العرجاء ... لقد صبحت « نانو » تتيه علي ، وكان تيهها ذا معنى خاص لم أستطع همه ! ... أتراها حسبت أني موله بثغرها الأدرد ؟ .. أم تراها نت أني مدله بوجهها الأجعد ! .. هذا مستحيل ! .. إن للحب ثرة موصدة في أوجه الشياطين ! ... إن في الحب نفحة سماوية يدركها أولئك الذين التصقوا بالأرض فلم يتجهوا بأعينهم إلى سماء ليبصروا ما أبدع الله فيها من جمال ! .. إن الحب وقف لى القلوب الزاخرة بالحياة ، الشاعرة بجمال الوجود ؛ أما « نانو » نها بعيدة عن الحياة ... بعيدة عن الحب ... إن الحب ليلفظها ظ النواة ! .. إذاً ما بالها تتيه علي ؟ . . هذا سر مستغلق ! . . ما أكثر ما يستغلق على المرء من أسرار !

ما « لنانو » ومالي ! .. إنها وسيلة غير صالحة للوصول إلى آنستي . ولقد بقيت يومين أفكر ، لم أذق خلالهما طعاماً ولم رق في فمي شراباً . وكان من نتيجة تفكيري أني عولت على أن كتب إلى آنستي رسالة أشرح فيها حبي وقمت إلى مكتبي أمسكت بالقلم وأخذت أشرح ما يخامرني من أشواق . ثم ختمت الرسالة بالكلمة التالية : « أي آنستي ! ... إني لأرجو نك أن تعلميني رأيك صريحا ... فإما قبول أنعم فيه بعطفك ، إما رفض يبرئني من حبك ... وإني لأنتظر كتابك الفاصلة آملا ن ألقاها غداً معلقة في مصراع الشباك ... »

ولم تكد شمس الغد تطلع حتى كنت أمام المنزل أنتظر .

وبعد فترة وجيزة بصرت بالقطة الحبيبة تمد رأسها من الباب ، فلوحت لها بقطعة لحم كنت أحضرتها من السوق ، ولم تكد تراها حتى عدت نحوي فأمسكتها بيدي وربطت الرسالة في عنقها وتركتها تعود أدراجها .

ولما كان الغد دلفت إلى المنزل وأنا أقدم رجلا وأؤخر رجلا . لقد كان قلبي يخفق هلعاً ، وكانت عيناي تتشوقان وكأنهما تتحريان شيئاً مضاعاً . وكان ذهني غارقاً في التفكير أي غلطة هذه الغلطة التي ارتكبتها ؟ وأي حماقة هذه الحماقة التي أتيتها ؟ . وهل ثمت أكثر جنوناً من فتى يسلم سره إلى قطة ! ؟ إن كل ما كنت أخشاه هو أن تكون الرسالة قد وقعت في يد غيرها فينفضح الأمر ، ويطلع الأهل على السر .

وما كدت أدنو من المنزل حتى لمحت قطعة من الورق معلقة في النافذة ، ومددت يدي المرتجفة فأخذتها وفتحتها وقرأتها !.. يا للسعادة !... إنها من آنستي ... آنستي الحبيبة ... يا للعجب أنها تدعوني لمقابلتها بعد منتصف الليل في بيتها !.. هذا لا يكاد يصدق ... يا لله !.. أتراني في اليقظة أم في المنام !.. ماذا أصابها فبدلها ؟ .. وماذا عراها فغيرها ؟ .. أيكون الصدود الذي كانت تبديه مجرد وهم باطل ألجأها إليه عيون القوم المفتحة حولها ؟ هذه هي الحقيقة بعينها ... إنها تحبني وتحبني ولكنها لم تكن لتجرأ على البوح بهذا الحب ! ... غفرانك يا آنستي ! ... لقد اتهمتك بالقسوة ولكني كنت مخطئاً في ظني ، وإن بعض الظن إثم .

لقد قرأت الورقة ثم طويتها ، ورحت أنتظر الساعة الموعودة بفارغ الصبر ، ودقت الثانية عشرة ، ثم الواحدة بعد منتصف الليل ؛ فانحدرت إلى المنزل والآمال المعسولة تحدوني . ولم أكد أصل الباب حتى وجدته مفتوحاً ، ولم أكد ألجه حتى وجدتني أمام شبح لم أتبينه لشدة الظلام ... إنه ولا ريب شبح آنستي المحبوبة ...

وتقدمت منها وأنا لا أكاد أصدق نفسي ! وعرتني رعشة من الفرح كادت تنسيني صوابي ، وانحنت آنستي علي وراحت تمطرني بوابل من القبل ؛ فانتشيت من السرور ومددت يدي محاولا لمس ثغرها ... وكم كانت دهشتي عظيمة حين وجدت أن

يدى قد دخلت فى فوهة لا قرار لها .. يا إلهى !.. أين الأسنان الناصعة ، أسنان آنستى المحبوبة ؟

وفتحت عينى وحدقت فى الثغر الذى كان يقبلنى ، إنه ثغر أورد وأممنت النظر بالوجه الذى يقابلنى ... يا للغرابة ! ... إنه وجه « نانو » العجوز التى أبغضها . ولا يستطيع أن يتمثل خيبتى هذه إلا أولئك المقامرون الذين أضاعوا فى ثانية واحدة كل ما قد ربحوه فى ساعات . لقد تبلدت عواطفى بعد اشتعالها وخمد الدم فى عروق . وما هى إلا ساعات معدودات حتى انقلب التبلد العاطفى إلى ثورة غضب كادت تطيح بصوابى فانقضضت على « نانو » ودفعتها بيدى دفعة قوية فسقطت منشياً عليها .

ولقد خشيت الفضيحة فحاولت أن ألوذ بالفرار ، ولكنى حين هممت بفتح الباب غشيت عيناى فلم أعد أبصر شيئاً . ولقد زاد فى ارتباكى أنى سمعت وقع أقدام متجهة نحوى ... إنه رب البيت . لقد نبهه صوت وقوع « نانو » فجاء يستطلع الخبر . يا للكارثة ! إنه يحمل فى يده عصاً غليظة لو أهوى بها على جدار لدكه . ولقد حاولت أن أجد لنفسى مفراً ولكن سهمى قد طاش فلم أعد أدرى ما أصنع . ولم أجد بداً من طلب الأمان .

ولقد عجب رب البيت من أمرى : إن ملامحى لا تنبئ عن سوء الطوية فما الذى أتى بى إلى بيته بعد منتصف الليل ؟.. هذا سر لم يستطع له تفسيراً . وحاولت أن أفضى له بالحقيقة الواقعة ، ولكن هل يصدق أن « نانو » تحب .. إنه سيتهمنى بالجنون وسيرمينى بالكذب .. ولم أجد بداً من الالتجاء إلى الحيلة فادعيت أن كلباً عقوراً تبعنى فى الشارع وحاصرنى فلم أستطع الخلاص منه . واتفق أن مررت بالقرب من باب هذا المنزل فوجدته مفتوحاً ، فولجته وسرعان ما اصطدمت بشخص ارتاع من دخولى فسقط منشياً عليه .

وكانت « نانو » قد أفاقت من غشيتها وسمعت كلامى . ويبدو أن هذا التخلص الحسن قد أعجبها ؛ فأنبأت رب البيت بأنها قد نسيت الباب مفتوحاً منذ المساء ، وأنها استفاقت عند منتصف الليل وذكرت ما قد نسيت فخرجت تغلقه فكان أن صدمتنى .

وقد جازت هذه الحيلة على رب البيت فأحسن بى الظن ، ورق لحالى ، وطيب خاطرى ثم فتح لى الباب ، وتركنى أنصرف بسلام .

ولقد خرجت من البيت وآليت على نفسى أن لا أعود إليه ثانية . لقد ألقيت شبكتى طامعاً بالسمكة الجميلة ولكنى لم أعثر إلا على سلحفاة بشعة . ولقد خشيت أن ألقيها ثانية فأعثر على ثعبان يقضى على حياتى . لقد خرجت من البيت بعد أن نذرت التوبة عن الحب . نعم لقد تبت ولقد مضى على سنون عدة ركن قلبى خلالها للسكينة ، وارتاح للهدوء لولا بعض نزوات كانت تعتاده فى الفترات فيتحرك بين أضلاعه ، ويحاول الانطلاق من أغلال التوبة ولكنه سرعان ما يذكر العيون الزرقاء ، ويتخيل « نانو » العجوز ؛ فيعود إلى هدوئه ويخلد إلى سكينته وهو يقول : « إنى تبت عن الحب منذ زمن بعيد ... »

(حماه — سوريا) زهدى الشواف